قرة العينين بتوضيح معاني

عقيدة الرازيين

أبي حاتم الرازي ت ٢٧٧هـ - أبي زرعة الرازي ٢٦٤هـ

لفضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

اعتنى به

أحمد بن يحيى بن خضر [illegible]

الهدي النبوي

للنشر والتوزيع

قُرَّةُ العَيْنَيْنِ

بِتَوْضِيحِ مَعَانِي عَقِيدَةِ الرَّازِيَّيْنِ

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة

1440هـ - 2019م

اسم الناشر: دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع

ISBN: 978-9947-987-52-0

الإيداع القانوني: 5510-2011

التوزيع في المملكة العربية السعودية

مكتبة دار النصيحة

المدينة النبوية – حي الفيصلية- أمام الباب الجنوبي للجامعة الإسلامية

ت: 00966595982046

بريطانيا وأوروبا:

دار مكة العالمية

Dar Makkah international

Birmingham B10 0QJ/parliament street 25 -23

Tel. 00441217666888

Mobile. 07533177345

دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع

الإدارة: (00213) 554250098 المبيعات: (00213)550471594

البريد الإلكتروني: dar.mirath@gmail.com

@mirathennabawi

قرة العينين

بتوضيح معاني عقيدة الرازيين

أصل السنة واعتقاد الدين

أبي حاتم الرازي ت: ٢٧٧هـ — أبي زرعة الرازي ت: ٢٦٤هـ

شرح

فضيلة الشيخ العلامة الدكتور

ربيع بن هادي عمير المدخلي

عضو هيئة التدريس ورئيس قسم السنة
بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقا

اعتنى به

أحمد بن يحيى بن خضر الزهراني

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة

دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم أجمعين.

أما بعد:

فهذه الطبعة الثانية من كتاب: "قرة العينين بتوضيح معاني عقيدة الرازيين" بعد مراجعة ثانية من شيخنا العلامة ربيع بن هادي عمير -حفظه الله- فعدل وأضاف وحذف، وهذا شأن أهل العلم مع كتبهم، وسيجد القارئ الكريم في هذه الطبعة عِدَّة ميزات تسره وتفرحه.[١]

سائلا المولىٰ عز شأنه وجَلَّت قدرتُه أن ينفع بهذا الكتاب الجميعَ ويرد به كيد المخالفين؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

كتبه/ أحمد بن يحيىٰ بن خضر الزهراني

١٤٣٩/١/٩هـ

---

(١) والفضل لله عز وجل أن وفقني لإعادة طبع هذا الكتاب بهذا الشكل الطيب، ثم لأخي الحبيب الشيخ عصام بن [illegible]، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠-٧١.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد:

فأولاً: أود أن أتحف القُرَّاء بما خطَّته يد الشيخ العلامة حامل لواء الجرح والتعديل -بحق وصدق رغم أنوف الحاقدين والحاسدين والمشكِّكين- أسد السنة وقامع البدعة المُحَدِّث السلفي ربيع بن هادي عمير -حفظه الله- من مؤلفات ومقالات وشروحات في شتَّىٰ المجالات، بعضها طبع وبعضها تحت الطبع:

١ "تنزيه الشريعة الإسلامية من فتنة الاختلاط" طُبع بدار الميراث النبوي.(١)

٢ "حكم المظاهرات في الإسلام حوار مع الدكتور سعود الفنيسان"، طُبع.

٣ "عون الباري ببيان ما تضمنه شرح السنة للإمام البربهاري"، في مجلدين، طُبع بدار المحسن بالجزائر.

٤ "البيان والإيضاح لعقيدة أهل السنة والجماعة في رؤية الله يوم القيامة من كتاب حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح لابن القيم رحمه الله"، طُبع.

---

(١) كل المؤلفات طبعت في (دار الميراث النبوي) بالجزائر للأخ الفاضل: سيد علي لخضر عمر سحالي عدا رقم: (٣) "عون الباري"؛ فطبع بدار المحسن، للأخ الفاضل: أبو عبد المحسن ليامين العنابي الجزائر

٥ "الذريعة إلىٰ بيان مقاصد كتاب الشريعة للإمام الآجري"، طبع عام (١٤٣٤هـ) في أربعة مجلدات بدار الميراث النبوي.

٦ "شرح الباعث الحثيث"، [تحت الإنجاز].

٧ "اللباب من مجموع نصائح وتوجيهات الشيخ ربيع للشباب" طبع.

ويشتمل علىٰ مجموعة كبيرة من نصائح وتوجيهات الشيخ لشباب الأمة، وأغلبها كان عن طريق الهاتف إلىٰ شتَّىٰ بقاع المعمورة من الدول الإسلامية والدول الأوروبية -وهو الجزء الأول-، تليه أجزاء من مجموع نصائح الشيخ للشباب المبثوثة في مجالسه ودروسه وكتبه. طبع.

٨ "شرح القواعد الأربع" طبع.

٩ "التقييد البديع لمجالس ومحاضرات الشيخ ربيع"، في أربعة مجلدات، وتحتوي علىٰ محاضرات ومجالس للشيخ تطبع لأول مرة:

أولا: محاضرات العقيدة والتوحيد:

١) "حق الله علىٰ العباد" طبع.

٢) "مكانة الدعاء وعلاقته بتوحيد العبادة". طبع.

٣) "الفوائد العقدية والمنهجية من شرح فتح المجيد".

ثانيا: المجموعة السنية من المحاضرات المنهجية:

١) "مكانة الرسول ﷺ وحقوقه". طُبع.

٢) "وإن تطيعوه تهتدوا". طبع.

٣) "مكانة الصحابة رضي الله عنهم في الإسلام" طبع.

٤) "العودة إلى فهم سلف الأمة" طبع.

٥) "ضرورة العناية بفقه السلف". طبع.

٦) "الطريقة الصحيحة في الدعوة إلى الله" طبع.

٧) "الثبات على السنة" طبع.

٨) "التمسك بالمنهج السلفي" طبع.

٩) "الاعتصام بالكتاب والسنة أمر ضروري لهذه الأمة" طبع.

١٠) "واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم" طبع.

١١) "سبيل النجاة" طبع.

١٢) "وسطية الإسلام" طبع.

١٣) "الموقف الصحيح من أهل البدع" طبع.

١٤) "الفرقة الناجية أصولها وعقائدها" طبع.

ثالثا: المجموع الرائق من الوصايا والزهديات والرقائق:

١) "أصناف القلوب" طبع.

٢) "الصدق وآثاره الحميدة". طبع.

٣) "خطورة الكذب وآثاره السيئة وموقف الإسلام منه ومن أهله". طبع.

٤) "التحذير من الشر". طبع.

٥) "التقوىٰ وآثارها وأوصاف المتقين وجزاؤهم". طبع.

٦) "من صفات الأبرار والمقربين". طبع.

٧) "الاستقامة وأثرها علىٰ المسلمين". طبع.

٨) "المعصية وأثرها علىٰ الأمة". طبع.

٩) "شمولية وكمال الرسالة المحمدية". طبع.

١٠) "الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة". طبع.

١١) "مراتب الهداية – مفاسد الكذب". طبع.

١٢) "التحذير من الفتن". طبع.

١٣) "المخرج من الفتن". طبع.

١٤) "مكانة السنة والتحذير من مظاهر الغلو". طبع.

١٥) "التمسك بالكتاب والسنة".

رابعا: التقريرات المرضية من المجالس الفقهية:

١) تعليق علىٰ بعض أبواب الطهارة من كتاب "سبل السلام".

خامسًا: نفحات الهدى والإيمان من مجالس القرآن:

١) "مجالس التفسير رمضان ١٤٢٦هـ" طبع.

٢) "مجالس التفسير رمضان ١٤٣٠هـ" طبع.

٣) "مجالس التفسير رمضان ١٤٣٢هـ" طبع.

سادساً: مرحبا يا طالب العلم:

١) "فضل العلم وأهميته". طبع.

٢) "فضل العلم والعلماء". طبع.

٣) "علم الكتاب والسنة وأثره في الأمة". طبع.

٤) "مرحبا يا طالب العلم". طبع.

٥) "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا...". طبع.

٦) "عوائق في طريق طالب العلم". طبع.

٧) "فضل العلم النافع". طبع.

٨) "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين". طبع.

٩) "مقدمة في علم الحديث". طبع.

١٠) "العمل بالعلم - من كتاب الفوائد لابن القيم». طبع.

١١) "العلم أفضل ما تكتسبه النفوس وتحصله القلوب - من كتاب الفوائد لابن القيم". طبع.

سابعا: النهج القويم من أحاديث الرسول الكريم ﷺ:

١) "بهجة القاري بفوائد منهجية ودروس تربوية من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيح البخاري". طبع.

٢) "شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري".

٣) "شرح حديث الدين النصيحة". طبع.

٤) "شرح حديث: «**إن الله يرضىٰ لكم ثلاثًا**». طبع.

٥) "شرح حديث معاذ رضي الله عنه «**إنك تأتي قوما من أهل الكتاب**»". طبع.

٦) "شرح حديث جبريل عليه السلام في تعليم الدين" طبع.

٧) "شرح الحديث القدسي: «**يا عبادي إني حرمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته بينكم محرمًا**». طبع.

٨) "شرح وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس: «**يا غلام إني أعلمك كلمات**» طبع.

٩) "شرح خطبة الحاجة". طبع.

١٠) "الابتهاج بشرح كتاب الإيمان من صحيح مسلم بن الحجاج". طبع.

هذا غير الفتاوىٰ التي قد تصل إلىٰ عشرة مجلدات.

وهذا الجهد الطيب المبارك -إن شاء الله- فيه رد علىٰ من يقول:

أ- كتب الشيخ ربيع كلها ردود.[١]

---

(١) القرآن من أوله فيه رد علىٰ المنافقين واليهود والنصارىٰ وأهل الأهواء والبدع بل جله كذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مليئة بالرد علىٰ هذه الأصناف، وما ورد في كتب السلف كثير جدًا بل هناك مؤلفات مفردة في الرد:

١- كالرد علىٰ الجهمية للإمام أحمد بن حنبل وابن منده والدارمي رحمهم الله.

٢- والرد علىٰ المبتدعة لابن البنا رحمه الله.

٣- [illegible]

٤- والرد علىٰ من أباح الربا الجاري في بعض البنوك للشيخ التويجري رحمه الله.

وغيرهم كثير، بل أغلب كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وأئمة الدعوة النجدية رحمهم الله ردود علىٰ أهل الضلال.

ثم أليست كتب الردود السلفية من العلم؟

ب- وأن جهوده في الماضي أعظم من جهوده في الحاضر.(١)

ت- وأنه لو اشتغل بالعلم وجدَّ فيه لأفاد كثيرًا.(٢)

أقول:

أولاً: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.

ثانيًا: ما ذكرته سابقاً أكبر دليل علىٰ رد هذه الأقوال الكاذبة الحاسدة الحاقدة.

ثالثًا: أين جهودكم(٣) يا من تقولون هذه الأقوال التي لا زمام لها ولا

= أليست مادتها من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وما أثر عن السلف الصالح؟

بل إن كثيرًا من المسائل لم يتضح القول فيها إلا من خلال كتب الردود.

فلماذا يحارب العلم بهذه الطريقة الماكرة ؟!!.

(١) بل جهوده كلها عظيمة -ولله الحمد والمنة- في الماضي والحاضر، يشهد بذلك القاصي والداني ولكن أصحاب النفوس المريضة والأدواء الخفية لا ترتاح !!.

لا بُد أن تكشف عن حقيقتها ومكنوناتها من: تعالٍ وحقد وحسد ونحو ذلك !!.

ويكفي اللبيب في وهاء هذه الفرية ما ذكرته من مؤلفات الشيخ -حفظه الله- الدالة علىٰ صدقه وإخلاصه واشتغاله بالعلم وحرصه علىٰ وقته، وإلا لما أنتج هذا الإنتاج، نسأل المولىٰ له التوفيق والسداد في القول والعمل والبركة في عمره ووقته.

(٢) وهذه المؤلفات في التفسير، والعقيدة، والحديث، والفقه، والزهد، والآداب، وغيرها أليست من العلم !!! **نَبِّئُونِي** بعلمكم إن كنتم صادقين !!!

(٣) ولن أقسم علىٰ ما أراه -ويراه غيري- من شيخنا -حفظه الله- من حرص وجد ونشاط في العلم ف والقراءة والتدريس والحرص علىٰ أُلفة السلفيين، والصلح بينهم وحسم الخلافات من جذورها، أمور لا يستطيعها كثير من الشباب الأقوياء فضلًا عن هؤلاء المخذلة الذين ليس لهم جهد ولا همٌّ إلا التشويشَ علىٰ أهل السنة الصادقين بالكذب والتلبيس والتُّهم الفاجرة والباطلة.

ولا أدري سلفية ١٢

خطام؟ وإن تعجب فعجب لقولهم وفعلهم يُصدقون مثل هذه الأراجيف في أهل السنة فيتحركون ويُحرِّكون، ولما تأتي بالأدلة والبراهين علىٰ من:

أ- يصف الصحابة بأن فيهم غثائية!!!.

ب- ومن يثني علىٰ رسالة تقرر وحدة الأديان، وأخوة الأديان، وحرية الأديان، ومساواة الأديان، والدعوة إلىٰ تطبيق القانون الدولي، واحترام المواثيق والقرارات الدولية الصادرة عن الأمم المتحدة وإلزام الجميع بقبولها، والدعوة إلىٰ الديمقراطية، وغير ذلك من البلايا ومع ذلك يقال عنها: إنها رسالة سباقة في شرح رسالة الإسلام!!!.

لا نرىٰ منهم أي حركة ضد هذه العقائد الفاسدة المدمرة، ولا تحذير ممن صدر منه هذا الثناء!!!!.

ت- ومن يثني علىٰ الإخوان والتبليغ ويدافع عن أهل الباطل، ويطعن في أهل السنة ويجعل الحق باطلًا والباطل حقًّا!!!!.

ولا نسمع من هؤلاء المخذلين حركة وكأن الأمر لا يعنيهم!!!.

وعندما يتحرك أهل السنة لنقد هذه الفواقر العظام ويردون بحق وصدق وعلم علىٰ من يقرر ذلك؛ يتحرك هؤلاء المخذلة الذين حذر منهم رسول الله ﷺ بقوله: «**لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتىٰ يأتيهم أمر الله وهم**

علىٰ ذلك».[١]

وفي رواية: **«ولا من كذبهم»**.[٢]

فيقولون: عليكم بالعلم اتركوا هذا التهاجر، وهذه الفتن؛ هذه الأمور تشتت الشباب... . إلخ.[٣]

أقول:

١) لا يعلم هؤلاء القائلون أن من يشغبون علىٰ الشيخ ربيع وإخوانه هم البادون بالفتن من سنوات وسنوات، ومستمرون في إثارتها لا يكلون ولا يملون، وهم البادون بالهجران، ومواقعهم ومقالاتهم ومؤلفاتهم تشهد بذلك.

٢) بل السكوت وهذه المواقف المخزية والمخالفة للمنهج السلفي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب (رقم ٣٦٤١) واللفظ له، ومسلم في كتاب الإمارة (رقم ١٠٣٧).

(٢) أخرجها البخاري في كتاب التوحيد (رقم ٧٤٦٠).

(٣) هذه الأفعال والأقوال التي تصدر من هؤلاء المخذلة حذر منها سلفنا الصالح.

قال ابن عساكر رحمه الله في "تاريخ دمشق" (٨/ ١٥) عن عقبة بن علقمة قال: كنت عند أرطاة بن المنذر فقال بعض أهل المجلس: ما تقولون في الرجل يجالس أهل السنة ويخالطهم فإذا ذكر أهل البدع قال: دعونا من ذكرهم لا تذكروهم؟

يقول أرطاة: هو منهم لا يلبس عليكم أمره.

قال: م... ت ذلك من قول أرطاة.

قال: فقدمت علىٰ الأوزاعي وكان كشافا لهذه الأشياء إذا بلغته فقال: صدق أرطاة والقول ما

قال: هذا يـ... ـن ذكـ... ـهم؟

هي التي تفرق وتشتت الشباب وتعطي صورة غير صحيحة للمنهج السلفي، ولكن الله الموعد.

قال إمام أهل السنة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

"ولو سكت أهل الحق عن بيانه لاستمر المخطئون علىٰ أخطائهم، وقلدهم غيرهم في ذلك، وباء الساكتون بإثم الكتمان الذي توعدهم الله في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٥٩ -١٦٠].

وقد أخذ الله علىٰ علماء أهل الكتاب الميثاق لتبيننه للناس ولا تكتمونه، وذمهم علىٰ نبذه وراء ظهورهم، وحذرنا من اتباعهم.

فإذا سكت أهل السنة عن بيان أخطاء من خالف الكتاب والسنة[١]

---

(١) هذا هو منهج السلف الصالح يقرره ويؤكده هذا الإمام الهمام عبدالعزيز بن باز – رحمه الله– فأين من يتمسح به –وبغيره من الأعلام كالشيخين الألباني وابن عثيمين رحمهما الله– من تطبيق هذا الكلام الرصين؟

أهل البدع والهوىٰ –كعدنان عرعور، والمغراوي، وأبي الحسن المأربي، وعلي الحلبي، وغيرهم كثير– يؤصلون ويقعدون لزعزعة منهج السلف ومحاربة أهله بكل وقاحة ولا تجد من هؤلاء الذين يرددون "منهج ابن باز كذا" أو "منهج الأئمة الثلاثة كذا" أيَّ [illegible]ة ضد [illegible] المخالفات الشنيعة !!.

وإذا ردَّ أهل السنة علىٰ هؤلاء المخالفين بحق وعدل هَبَّ هؤلاء المخذلين للتشغيب علىٰ أهل السنة؛ وحقيقة الأمر أنهم ليسوا علىٰ منهج ابن باز ولا الأئمة الثلاثة، وإنما هذه العبارات غطاء وستار لأخطائهم وجسر لترويج بضاعتهم الكاسدة عند من لا يزال يحسن الظن بهم وإلا أمرهم ليس بخاف علىٰ صغار الطلبة، ولله الحمد والمنة.

شَـابَهُوا بذلك أهل الكتاب المغضوب عليهم والضالين". (١)

ثانيا: أقدم للقراء كتابًا جديدًا من كتب شيخنا العلامة ربيع -حفظه الله- ألا وهو: "**شرح أصول السنة للرازيين**" رحمهما الله، وقد انتهىٰ من شرح المتن في عام (١٤٣٢هـ)، ثم فُرغت الأشرطة فعرضت عليه للمراجعة؛ فانتهىٰ منها في (٨/ ١٢/ ١٤٣٢هـ)، فقمت بالتالي:

١) أدخلت التعديلات التي عملها شيخنا -حفظه الله- علىٰ الشرح.

٢) راجعت المتن علىٰ نسخ محققة.

٣) كتبت الآيات بالرسم العثماني.

٤) خرجت الأحاديث والآثار وذكرت أحكام أهل العلم عليها.

٥) عزوت الأقوال -قدر الاستطاعة- إلىٰ مظانها.

٦) رقمت فقرات المتن.

٧) عملت عدة فهارس: للآيات والأحاديث والآثار ومحتوىٰ الكتاب. (٢)

---

(١) انظر: "مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة" (٣/ ٧٢-٧٣).

ـ ٢ نقول النبي ﷺ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ».

فأشكر الأخ أبا موسىٰ أحمد الغرايبة الأردني -خاصة- علىٰ ما قام به من جهود عظيمة في إخراج هذا الكتاب في الطبعة الأولىٰ، وكذا أشكر صاحب الدار الأخ سيد علي لخضر عمر سحالي علىٰ حرصه وتفانيه في ... الكتب ... لهم التوفيق والسداد في القول والعمل.

وسميت هذا الكتاب:

"قرة العينين بتوضيح معاني عقيدة الرازيين".

سائلا المولىٰ عز شأنه وجلت قدرته أن يجزل لشيخنا المثوبة وأن ينفعنا -وجميع المسلمين- بما سمعنا منه وبما كتبه، وأن يرفع قدره في الدنيا والآخرة، وأن يكفيه شر الحاسدين الحاقدين وأن ينصر به السنة وأهلها، ويقمع به البدعة ودعاتها.

إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

كتبه

أحمد بن يحيىٰ بن خضر الزهراني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الإسناد إلى عقيدة الرازيين رحمهما الله

قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو زَيْدٍ الشَّامِيُّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو طَالِبٍ عَبْدُالْقَادِرِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الْقَادِرِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ يُوسُفَ قِرَاءَةً عَلَيْهِ وَهُوَ يَسْمَعُ وَأَنَا أَسْمَعُ فَأَقَرَّ بِهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ بنِ أَحْمَدَ الْبَرْمَكِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بنُ عَبْدِ الْعَزِيْزِ بنِ مَرْدَكِ ابنِ أَحْمَدَ الْبَرْذَعِيُّ، قَالَ:

أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي حَاتِمٍ -أَسْعَدَهُ اللهُ وَرَضِيَ عَنْهُ-، قَالَ: سَأَلْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ عَنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أُصُولِ الدِّيْنِ وَمَا أَدْرَكَا عَلَيْهِ الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَمَا يَعْتَقِدَانِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَا:

(١) أَدْرَكْنَا الْعُلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الأَمْصَارِ حِجَازًا وَعِرَاقًا ومصرًا وَشَامًا وَيَمَنًا فَكَانَ مِنْ مَذْهَبِهِمْ: أَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

الشرح

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه:

أما بعد:

فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة سأل فيها ابن أبي حاتم[(١)] أباه[(٢)]، وأبا زرعة[(٣)] كعادته يسألهما عن الأحاديث والعلل وعن تراجم الرجال؛ لأنهما جبلان في العلم والحفظ والدين عقيدةً وشريعةً -رحمهما الله- لذا اهتم بها اللالكائي فدونها خلال كتابه: "شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة"، كما اهتم

(١) هو الحافظ العلم عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي. انظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء" (١٣/ ٢٦٣)، و"ميزان الاعتدال" (٢/ ٥٨٧)، و"العبر" (٢/ ٢٧)، و"تذكرة الحفاظ" (٣/ ٨٢٩) للذهبي، و"لسان الميزان" (٣/ ٤٣٢) لابن حجر، و"شذرات الذهب" (٢/ ٣٠٨) لابن العماد وغيرها.

(٢) هو الإمام الحافظ المتقن الناقد شيخ المحدثين أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي. انظر ترجمته في: "الجرح والتعديل" (١/ ٣٥٠) لابن أبي حاتم، و"السير" (١٣/ ٢٤٧)، و"تاريخ بغداد" (٢/ ٧٣) للخطيب، و"تذكرة الحفاظ" (٢/ ٥٦٧) و"النهاية" (١١/ ٦٣) لابن كثير، و"تهذيب التهذيب" (٩/ ٢٧) لابن حجر، و"شذرات الذهب" (٢/ ١٧١) وغيرها.

(٣) هو الإمام الحافظ أبو زرعة عُبيد الله بن عبدالكريم الرازي. انظر ترجمته في: "الجرح والتعديل" (١/ ٣٢٨) لابن أبي حاتم، و"السير" (١٣/ ٦٥)، و"العبر" (١/ ٣٧٩)، و"النهاية" (١١/ ٤٠)، و"تهذيب التهذيب" (٧/ ٢٨)، و"شذرات الذهب" (٢/ ١٤٨) وغيرها.

بعقيدة الإمام أحمد(١) -رحمه الله وجزاه الله خيرًا-.

وهنا في الإسناد هذا إلىٰ ابن أبي حاتم (أخبرنا محمد بن المظفر المقري قال: حدثنا الحسين بن محمد بن حبش المقري) ليس بينه وبين أبي حاتم إلا اثنان فقط، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم (قال: سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار).

فالسؤال عن أصول الدين أولًا.

وثانيًا: عمن أدركاه من العلماء، ماذا يعتقدون؟

ما هي عقيدتهم؟ ما هو منهجهم وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار؟

وما يعتقدان من ذلك أيضًا، فيسألهم عن عقيدة أهل السنة وعن عقيدة علماء الأمصار وعن عقيدتهما، فأجابا-رحمهما الله-: (أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا، وعراقًا، ومصرًا، وشامًا، ويمنًا، فكان من مذهبهم أنَّ: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص).

هذا مذهب أهل السنة والجماعة في جميع هذه الأمصار وقبلهم الصحابة-رضوان الله عليهم والتابعون لهم بإحسان- علىٰ هذه العقيدة، (أن:

الإيمان قول وعمل يزيد وينقص يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي).

---

(١) انظر "شرح اع [illegible] ١/ ١٧٦–١٨٢)، و(١/ ١٥٦- ١٦٤)، ط: دار طيبة.

هذا دل عليه كتاب الله و سنة رسوله ﷺ، بخلاف المرجئة والخوارج.

فإن المرجئة[١] يقولون: (الإيمان المعرفة: معرفة القلب فقط) وهذه عقيدة الجهمية منهم -قبحهم الله-، وهي عقيدة كفرية، وهي عقيدة إبليس، إبليس يعرف الله -تبارك وتعالىٰ- ويعرف بعض صفاته -سبحانه وتعالىٰ-، وأنه الخالق، وأنه ذو العزة والكمال، وأنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٦-١٧]، فهو يعترف بربوبية الله، ويعترف بعزته -سبحانه وتعالىٰ-، وأنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

فالجهمية يقولون: (الإيمان المعرفة فقط) وهؤلاء هم غلاة المرجئة قبحهم الله.

وشر من هؤلاء المرجئة المعرفون بالكرامية؛ يقولون الإيمان هو: النطق باللسان فقط، والمنافقون عندهم مؤمنون.

ومرجئة أخرى وهم مرجئة الفقهاء يقولون: (الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب) يقولون: التصديق بالقلب والنطق باللسان فقط

---

(١) انظر "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" (١٣٢) للأشعري، و"التنبيه والرد علىٰ أهل الأهواء" (٣٥) للملطي، و"الفرق بين الفرق" (٢٠٢) للإسفرائيني، و"الفصل في الملل والأهواء والنحل" (٢/ ٢٠٩) لابن حزم، و"الملل والنحل" (١/ ١١٢) للشهرستاني، و"البرهان في معرفة الأديان" (٣٣) للسكسكي.

والأعمال لا تدخل في الإيمان.

والخوارج(١) يقولون: (الإيمان قول وعمل واعتقاد، ولكنه لا يزيد ولا ينقص)؛ لأن الإيمان عندهم شيء واحد لا يقبل الزيادة ولا النقص.

لكن أهل السنة عندهم الإيمان موزع علىٰ القلب واللسان والجوارح، اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان.(٢)

الإيمان: قول وعمل، دل علىٰ ذلك كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، قال تعالىٰ في زيادة الإيمان: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:١-٤].

فهذه الآيات يحدد الله فيها المؤمنين الكاملي الإيمان، المؤمنين حق الإيمان ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ هذا عمل القلب يذكره عند المعصية فترتجف فرائصه فيقلع عنها، أو يذكره هكذا فيخافه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، يخشىٰ الله مطلقًا خشية الله وتقواه تلازمه،

(١) انظر "مقالات الإسلاميين" (٨٦)، و"الفرق بين الفرق" (٧٢)، و"الملل والنحل" (١/ ٩١)، (١٧).

(٢) انظر "السنة" (١/ ٢٣٦) للإمام عبدالله بن أحمد، و"الشريعة" (١/ ٣٦٢) للإمام الآجري، و"الإبانة الكبرى" (٢/ ٧٦٠) لابن بطة، و"شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٤/ ٨٣٠) للَّالكائي، و"البرهان" (٥) للسكـ

هذا المؤمن، هذه من أعمال القلب.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ هذا نص في زيادة الإيمان، أن الإيمان يزيد الذي عنده خُلُق وعنده احترام لكتاب الله، تكفيه هذه الآية فضلًا عن الأحاديث الأخرىٰ.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ هذا عمل القلب.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ هذا عمل الجوارح.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ حق الإيمان، صادقون في إيمانهم بشهادة الله لهم.

﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ هذا جزاؤهم، آمنوا بالله بجوارحهم وبقلوبهم وبألسنتهم.

فالإيمان إذن: قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

ومن الأدلة علىٰ زيادته: هذه الآية وقوله -تبارك وتعالىٰ- في سورة الفتح: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤] هذا نص في زيادة الإيمان.

والإيمان يزيد بأعمال القلوب ويزيد بأعمال الجوارح واللسان، فتخشىٰ الله في قلبك وتهابه، يزداد إيمانك: تعمل، تصلي، تصوم، تزكي، تحج، تبر

والديك، تأمر بالمعروف، تنهىٰ عن المنكر، تنصح للإسلام والمسلمين، كل هذه تجعل الإيمان يزيد ويزيد حتىٰ يصير أمثال الجبال، هذه من أدلة زيادة الإيمان.

وهناك آيات أخر أيضًا تدل علىٰ أن الإيمان يزيد.

وهناك أحاديث تدل علىٰ أن الإيمان ينقص، وهي: أحاديث الشفاعة المتواترة[1]، تدل علىٰ أن الإيمان ينقص مثل حديث: «**يخرج من النار من كان**

---

(١) انظر كتاب "الشفاعة" للعلامة المحدث مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله فقد جمع أحاديث الشفاعة وبين صحيحها من سقيمها فجزاه الله خيرًا وجعله في ميزان حسناته.

ومن تلك الأحاديث:

ما أخرجه البخاري في "صحيحه" في كتاب (التوحيد) (رقم: ٧٥١٠) قال: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا معبد بن هلال العنزي، قال: اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا إلىٰ أنس بن مالك، وذهبنا معنا بثابت البناني إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة، فإذا هو في قصره فوافقناه يصلي الضحىٰ، فاستأذنا، فأذن لنا وهو قاعد علىٰ فراشه، فقلنا لثابت: لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة، فقال: يا أبا حمزة هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاءوك يسألونك عن حديث الشفاعة، فقال: حدثنا محمد ﷺ قال: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَىٰ فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَىٰ فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - أَوْ خَرْدَلَةٍ - مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ، فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا،**=

في قلبه مثقال دينار من إيمان، أو نصف دينار، أو مثقال شعيرة، أو مثقال ذرة، أو أدنىٰ أدنىٰ من مثقال ذرة، فيزيد حتىٰ يصير أمثال الجبال(١)، وينقص حتىٰ لا يبقىٰ إلا أدنىٰ أدنىٰ من مثقال ذرة من إيمان».

فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ أَدْنَىٰ مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ»، فلما خرجنا من عند أنس قلت لبعض أصحابنا: لو مررنا بالحسن وهو متوارٍ في منزل أبي خليفة فحدثناه بما حدثنا أنس بن مالك، فأتيناه فسلمنا عليه، فأذن لنا فقلنا له: يا أبا سعيد، جئناك من عند أخيك أنس بن مالك، فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة، فقال: هيه فحدثناه بالحديث، فانتهىٰ إلىٰ هذا الموضع، فقال: هيه، فقلنا لم يزد لنا علىٰ هذا، فقال: لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة فلا أدري أنسي أم كره أن تتكلوا، قلنا: يا أبا سعيد فحدثنا فضحك، وقال: خلق الإنسان عجولًا ما ذكرته إلا وأنا أريد أن أحدثكم حدثني كما حدثكم به، قال: «ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

وانظر أيضاً: "صحيح مسلم" كتاب الإيمان (رقم: ١٨٣).

(١) قال في كتاب الطيوريات (١٠/ ٦٤ رقم ٨٦٤) لأبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني: أخبرنا أحمد، حدثنا أبو الحسن بن لؤلؤ، حدثنا أحمد بن زنجويه، حدثنا أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم القطيعي، حدثنا عبد الله بن جعفر، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «أنا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عنهُ الأَرْضُ يومَ القيامةِ، وأنا صاحبُ لواءِ الْحَمْدِ بيدِي، ولا فخرَ، وأنا أَوَّلُ مَنْ يدخلُ الجنَّةَ ولا فخرَ، آخذٌ بحلْقَةِ بابِ الْجَنَّةِ، فيُؤْذَنُ لِي، فيستَقْبِلُنِي وجهُ الجبَّارِ عزَّ وجلَّ، فأخِرُّ له ساجدًا، فيقول: يا محمَّدُ، ارفَعْ رأسَك، واشفعْ تُشفَّعْ، وسلْ تعطَ، فأرفعُ رأسِي، فأقولُ: ربِّ أُمَّتِي، أُمَّتِي، فيقولُ: اذهبْ فانظرْ من وجدتَ في قَلْبِهِ زِنَةَ مِثْقَالٍ مِنَ الإيمانِ فأخرجْه، فأذهبُ ثم أرجعُ فآخذ بحلْقةِ بابِ الجنَّةِ فيؤذنُ لي، فيستقبلُني وجهُ الجبَّارِ عزَّ وجلَّ، فأخرُّ له ساجداً، فيقولُ: يا محمَّدُ، ارفعْ رأسَك، واشفعْ تُشفَّعْ، وسلْ تعطَ، فأرفعُ رأسِي، فأقول: ربِّ أُمَّتِي، أُمَّتِي، فلاَ أزالُ أراجعُ إلىٰ ربِّي عزَّ وجلَّ، فيقولُ: اذهبْ فمن وجدتَ في قلبِه حبَّةً مِنَ الإيمانِ فأخرِجْهُ، فأُخرجُ من أُمَّتِي أمثالَ الجبالِ، ثمَّ يقولُ لِيَ النَّبِيُّونَ: ارجعْ إلىٰ ربِّكَ فاسألْهُ، فأقولُ: قد راجعتُ إلىٰ ربِّي حتَّىٰ استَحْيَيْتُ».

ما الذي ينقصه؟، المعاصي التي يدخلون بسببها النار، لكن الله يخرجهم بالتوحيد، «**يخرج من النار من كان في قلبه أدنىٰ مثقال ذرة من إيمان**»، فيعذب الله الزُّناة من شاء منهم، والسرَّاق، وقطاع الطرق، والمفسدين في الأرض، والظالمين المُرابين؛ لأنه من عقيدة أهل السنة: (**أنهم لا يُكفرون بالذنوب ولا يحكمون علىٰ العصاة بالخلود في النار**)، بخلاف الخوارج فإنهم: (**يكفرون بالذنوب ويحكمون علىٰ مرتكب الكبيرة أنه يدخل النار ويخلد فيها أبد الآبدين ولا تقبل فيهم شفاعة الشافعين**).

بينما سنة رسول الله ﷺ المتواترة تدل علىٰ أن هناك شفاعات في العصاة وفي غير العصاة، للرسول شفاعات[(١)] في إنقاذ الناس من الموقف، يأتي الناس إلىٰ آدم -عليه الصلاة والسلام- ويطلبون منه الشفاعة فيعتذر، ويستحي من ربه؛ لأنه أخطأ بأكل الشجرة، ويقول: «**إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**» ويحيل إلىٰ نوح لأنه أول رسول أُرسل إلىٰ أهل الأرض، فيعتذر نوح -عليه الصلاة والسلام-، ويستحي من ربه أن يشفع؛ لأنه يرىٰ نفسه أخطأ في دعوته علىٰ قومه فأهلكهم الله، هذا عذره فقط يستحي من أمر واحد يراه ذنبًا وهو أحسن من حسناتنا، يستحي من الله -تبارك وتعالىٰ-، فلنستحِ من الله حق الحياء في كل شيء من

(١) انظر "تهذيب السنن" (٥/ ٢٢٦٩) للإمام ابن القيم، و"شرح العقيدة الطحاوية" (٢٢٩) لابن أبي العز الحنفي.

فيقول نوح عليه السلام: «**إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ اذهبوا إلىٰ غيري اذهبوا إلىٰ إبراهيم**».

وكذلك إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- كذب كذبات وهي: تَوْريات ليست كذبات حقيقية اعتبرها كذبًا، واعتبرها معصية، وهو يخجل من الله أن يشفع، ويقول: «**إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ نفسي نفسي**»، ويحيلهم علىٰ موسىٰ، موسىٰ عليه السلام قتل قبطيًا ظالِمًا كافرًا واعتبر هذا من سيئاته في الدنيا والآخرة وعفا الله عنه في الدنيا، ومع توبة الله عليهم ومغفرة الله لهم ورفعه لدرجاتهم واختيارهم للنبوات والرسالات مع ذلك هم يخجلون من الله من تلك الأخطاء -عليهم الصلاة والسلام-؛ فيقول موسىٰ عليه السلام: «**إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ نفسي نفسي اذهبوا إلىٰ غيري اذهبو إلىٰ عيسىٰ**».

ويأتون إلىٰ عيسىٰ عليه السلام فيقول: «**إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ نفسي نفسي**» فيحيلهم إلىٰ محمد -عليه الصلاة والسلام- ومحمد يقول: «**أَنَا لَهَا**» ويذهب ويخر ساجدًا بين يدي الله -تبارك وتعالىٰ- ويشفع في ذلك الموقف الرهيب الذي تدنو فيه الشمس من النا[illegible] منهم من يبلغ [illegible] إلىٰ قدميه، ومنهم إلىٰ ركبتيه، ومنهم إلىٰ حقويه، ومنهم إلىٰ صدره، ومنهم من

يلجمه العرق إلجامًا.[(١)]

والناس في أهوال لا يعلمها إلا الله -تبارك وتعالىٰ- من هذا الموقف مؤمنهم وكافرهم، إلا سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، والناس في هذا الأمر الشديد والأمر الرهيب وهم في ظل عرش الله بأعمالهم الصالحة «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**» وتعرفون هؤلاء السبعة[(٢)].

الشاهد: أن الإيمان يَنْقُصْ ويَنْقُصْ ويَنْقُصْ، هؤلاء ناقِصو الإيمان فتارك الصلاة يعاقب عقوبة شديدة ويكفره كثير من العلماء، والذي لا يؤدي الزكاة يبطح في عرصات القيامة بقاع قرقر تمر عليه الإبل إذا كان صاحب إبل تَطَؤُهُ بأخفافها وتعضه بأنيابها، وإذا كان بقرًا تَطَؤُهُ بأظلافها وتنطحه بقرونها، وإذا كان غنمًا تنطحه بقرونها وتَطَؤُهُ بأظلافها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.[(٣)]

---

(١) انظر "صحيح مسلم" كتاب (الإيمان) (رقم: ١٩٤).

(٢) أخرج البخاري في كتاب (الأذان) (رقم: ٦٥٩)، ومسلم في كتاب (الزكاة) (رقم: ١٠٣١) عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَىٰ حَتَّىٰ لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**».

(٣) أخرج البخاري في كتاب (الزكاة) (رقم: ١٤٠٢)، ومسلم -واللفظ له- في كتاب (الزكاة) (رقم: أَبِي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَىٰ بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ**» =

يقول هذا أهل السنة المعتدلون الواعون لكتاب الله والمؤمنون به حق الإيمان، والمؤمنون بسنة رسول الله والعاملون بها، يقولون هذا: إن أهل المعاصي تحت مشيئة الله إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم، ومن يعذبهم يدخل النار وفي عرصات يوم القيامة يعذبون، كما هو حال تارك الزكاة.

ويقول الله في المُرابي: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَالإِبِلُ؟

قَالَ: «وَلَا صَاحِبُ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلَبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، أَوْفَرَ مَا كَانَتْ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَىٰ النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ؟

قَالَ: «وَلَا صَاحِبُ بَقَرٍ، وَلَا غَنَمٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ، وَلَا جَلْحَاءُ، وَلَا عَضْبَاءُ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَىٰ النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَالْخَيْلُ؟

قَالَ: «الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وِزْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنِوَاءً عَلَىٰ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي ظُهُورِهَا وَلَا رِقَابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ، فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ، أَوِ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ، إِلَّا كُتِبَ لَهُ، عَدَدَ مَا أَكَلَتْ حَسَنَاتٌ، وَكُتِبَ لَهُ، عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا، حَسَنَاتٌ، وَلَا تَقْطَعُ طِوَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا، أَوْ شَرَفَيْنِ، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَاثِهَا حَسَنَاتٍ، وَلَا مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَىٰ نَهْرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ، عَدَدَ مَا شَرِبَتْ، حَسَنَاتٍ».

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَالْحُمُرُ؟

قَالَ: «مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِي الْحُمُرِ شَيْءٌ، إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ الْفَاذَّةَ الْجَامِعَةَ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾» [الزلزلة: ٧-٨].

وفي الحديث: «لعن الله آكل الربا وكاتبه وشاهديه».(١)

ويقول تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، وحكم عليهم بالكفر، ولكن هذا الكفر للمستحلين.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

هذه عقيدة أهل السنة في الإيمان(٢)، ويرميهم الحدادية بأنهم مرجئة، الحدادية(٣) التي أنشأت الحرب علىٰ أهل السنة بالأكاذيب والافتراءات، المرجئة ما يرون هذا، يرون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وإيمان أفجر وأفسق خلق الله مثل إيمان جبريل ومحمد -عليهما الصلاة والسلام- والعياذ بالله من هذا الإرجاء الخبيث، ومرجئة الفقهاء لا يدخلون العمل في الإيمان، ولا يرون نقصانه ولا زيادته، وهذه مخالفة شنيعة قبيحة جدًّا للآيات التي تدل علىٰ زيادة الإيمان وللأحاديث التي تدل علىٰ نقصه، بل بعض الآيات تدل علىٰ نقص الإيمان.

---

(١) أخرج مسلم في كتاب (المساقاة) (رقم: ١٥٩٨) عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ»، وَقَالَ: «هُمْ سَوَاءٌ».

(٢) وانظر "شرح أصول السنة" (٥٩)، و"شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث" (٢٥٢) لشيخنا ربيع - حفظه الله- مقررًا ومؤكدا هذه العقيدة العزيزة.

(٣) انظر "المجموع الواضح في رد منهج وأصول فالح"، و"النقولات السلفية في الرد علىٰ الطائفة الحدادية" للشيخ عبدالله الأحمري حفظه الله.

فأي ظلم وافتراء يرتكبه الحداديون التكفيريون في حق أهل السنة حقًّا وحقيقةً، هذا مع سكونهم وسكوتهم تجاه أهل البدع الحقيقية الكبرىٰ.

الله -تبارك وتعالىٰ- قسَّم المؤمنين الذين أورثهم بالكتاب إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: فمنهم ظالم لنفسه -وهذا عاص ناقص الإيمان-.

القسم الثاني: ومنهم مقتصد وهو: المؤدي للواجبات والتارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات.

القسم الثالث: ومنهم سابق بالخيرات وهو: القائم بالواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات.

فجعل مرتبة العاصي دون مرتبة الأبرار، فالأبرار والسابقون والظالمون لأنفسهم، فالسابقون بالخيرات والمقتصدون هم الأبرار، والظالمون لأنفسهم هم العصاة، فهذا يدل علىٰ نقصان الإيمان عند أصناف، وتفاوت الناس فيه وتفاضلهم فيه.

مرجئة الفقهاء يخالفون هذه الآيات، ويخالفون هذه الأحاديث لكنهم مع ذلك هناك فرق بينهم وبين غلاة المرجئة؛ لأنهم يرون أن العصاة معرضون للوعيد، وأن منهم من يدخل النار فيشاركون أهل السنة بهذا، فمصيبتهم مصيبة، ولكن من باب العدل والإنصاف فرق كبير بينهم وبين

غلاة المرجئة، والإيمان قائم علىٰ العدل والإنصاف حتىٰ الكافر لا يجوز أن تظلمه، وكذلك المبتدع .

ومن المرجئة من يقول: الإيمان قول باللسان فقط، يقولون: الإيمان باللسان وهم **الكرامية**، يقولون: الإيمان قول باللسان فقط، والمنافق عندهم مؤمن لأنه نطق بلسانه فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، لكن هذا يصادم القرآن.

الله -تبارك وتعالىٰ- يقول: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[المنافقون: ١]، إلىٰ آيات أخر في مواضع أخرىٰ في ذم المنافقين وكشف حالهم وبيان كفرهم، وكما بيَّن الله أنهم في الدرك الأسفل من النار.

الشاهد من الآية الكريمة: أن الله سماهم منافقين مع نطقهم بالشهادة لرسول الله بأنه رسول الله.

ومن الناس من ينسب إلىٰ هذه الفرقة أنهم يقولون: إن المنافقين في الجنة لأنهم شهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، لكن شيخ الإسلام أنصفهم وحكىٰ عنهم أنهم مع اعتقادهم أن المنافقين مؤمنون مع ذلك يقولون: إنهم في النار.[1]

---

(١) انظر "مجموع الفتاوىٰ" (٧/ ٤٧٥-٤٧٦).

لكن المصيبة في تعريفهم للإيمان واعتقادهم هذا التعريف الخبيث: أن الإيمان قول باللسان فقط، فيهدرون إيمان القلوب وأعمال القلوب، ويهدرون أعمال الجوارح، ويتعلَّقون بهذا الاعتقاد الفاسد: (الإيمان قول باللسان فقط)، فهم أيضًا من غلاة المرجئة، ومذهبهم فاسد، ويجرِّئ علىٰ ارتكاب المعاصي والعياذ بالله.

كما أن مذهب المرجئة الغلاة ومذهب مرجئة الفقهاء فيه ما يجرِّئ علىٰ ارتكاب المعاصي والاستهانة بالأعمال، ويجرِّئ علىٰ مخالفة كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فيأتي إلىٰ الآيات التي تدل علىٰ زيادة الإيمان فيتأولها ويحرفها؛ لتوافق هواه فيرتكب إثْمًا كبيرًا بهذا التحريف القائم علىٰ الهوىٰ، ويأتي إلىٰ أحاديث الشفاعة ويتلاعب فيها، فلو لم يكن من فساد مذهب مرجئة الفقهاء إلا هذا لكفاه شرًّا والعياذ بالله.

لكن مع ذلك هناك فرق بينهم وبين من يقول: (الإيمان المعرفة)، فيدخل في تعريفه: الشيطان، وفرعون، ونمرود، وغيرهم من عتاة الجبابرة الكفرة، عياذًا بالله! الذين هم في حضيضِ حَضيضٍ من الكفر، كل الناس يعرفون الله -عز وجل-، أبو جهل يعرف الله، بل يعترف أنه خالق السماوات والأرض ومع ذلك فهم من أكفر الكافرين.

٢ وَالْقُرْآنُ كَلامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ بِجَمِيعِ جِهَاتِهِ.

الشرح

القرآن كلام الله -تبارك وتعالىٰ-، والنصوص الدالة علىٰ أن القرآن كلام الله وأن الله يتكلم أزلًا وأبدًا نصوص كثيرة لا تحصىٰ ولا تعد، إن تلوناه فهو كلام الله، وإن كتبناه فهو كلام الله، وإن حفظناه بصدورنا فهو كلام الله، الأدوات هذه أدوات مخلوقة لكن كلام الله ليس بمخلوق، تعالىٰ الله عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

فكلام الله من صفاته، علمه وقدرته وإرادته -سبحانه وتعالىٰ-، وسمعه وبصره وكونه الخالق الرازق هذه من أسمائه وصفاته التي لا يشابهه فيها الخلق، وكلام الله -تبارك وتعالىٰ- يتكلم الله متىٰ شاء كيف شاء من غير تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل ولا تحريف.

فالله تكلم ويتكلم أزلًا وأبدًا ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧] سبحانه وتعالىٰ.

وأن الله -تبارك وتعالىٰ- خلق هذا الكون: السماوات، والأرض،

والملائكة، والجن، والإنس، والأشجار، والأحجار، والبحار، والأنهار، والحيتان ... بكلامه ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[يس:٨٢].

وهذا من الأدلة على أن الله -سبحانه وتعالى- يتكلم ويقول، وسمى القرآن كلامه: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ...﴾[التوبة: ٦].

والله -تبارك وتعالى- ينادي. نادى موسى: ﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾[النازعات:١٦]، ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ [الشعراء:١٠]، ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ﴾[فصلت:٤٧]، والنداء لا يكون إلا بصوت مسموع.

والأشاعرة يقولون(١): القرآن كلام الله هو: المعنى القائم بذاته ليس بحرف ولا صوت، هكذا يقولون، هذا القرآن بين أيدينا ليس كلام الله وإنما كلامه المعنى النفسي القائم بذات الله وهو القرآن، وهو التوراة، وهو الإنجيل، وإن عُبِّر عنه بالعبرانية صار توراة، وإن عُبِّر عنه بالسريانية صار إنجيلًا، وإن عُبِّر عنه بالعربية صار قرآنًا.

والقرآن عندهم بأوامره ونواهيه وأخباره كله معنى واحد لا يتجزأ، وهذا كلام سخيف باطل لا يقبله عقل ولا شرع، الله يتكلم الكلام هذا كمال، وفرق كبير بين المتكلم والأخرس، فالأخرس ناقص والمتكلم الذي ينطقه

(١) انظر "الملل والنحل" (١/ ٧٦).

الله ويهيئ له أن يتكلم أكمل من ذلك الأخرس الناقص.

فعند أهل السنة القرآن كلام الله تكلم الله به، والأدلة علىٰ أن الله يتكلم وينادي كثيرة جدًّا ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾[فصلت: ٤٧]، ينادي الله المؤمنين والكفار يوم القيامة: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٧].

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾[الشعراء: ١٠].

وأخبر الله أنه ناجاه، وأنه ناداه في آيات من القرآن الكريم، وفي الآيات الأخرىٰ قال الله: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾[الأحزاب: ٤] سبحانه وتعالىٰ، فهذه الأقوال الواردة في القرآن تنص علىٰ أن الله يقول، وأنه يتكلم، وأنه تكلم بهذا القرآن، وأن هذا القرآن منزل منه ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت: ٤٢].

وابتداءُ هذا الكلام من الله -تبارك وتعالىٰ-، تكلم به وأوحاه إلىٰ جبريل، وجبريل بلَّغه إلىٰ محمد ﷺ، فأهل الأهواء لهم ضلالات ولهم مخالفات ومصادمات مع كتاب الله ومع سنة رسول الله ﷺ.

والله -تبارك وتعالىٰ- وفَّق أهل السنة والجماعة للحق والصواب في كل هذه المجالات التي يحصل فيها الاختلاف، لأنهم تمسكوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، وهم يعتقدون أن كلام الله حق، ولا يقول الله إلا الحق، وأن كلام رسول الله حق، وأنه لا يقول إلا الحق.

فكيف بالذي يعتقد أن القرآن ليس بكلام الله ويعتقد أنه مخلوق؟

المعتزلة يقولون[١]: القرآن مخلوق، والكلام الذي سمعه موسىٰ إنما سمعه من الشجرة، خلقه الله في الشجرة ليس كلام الله -تبارك وتعالىٰ-، كلام الله كله سابقًا وأزلًا كله عندهم مخلوق -قبحهم الله-، وهذا من الافتراء علىٰ الله والقول علىٰ الله بغير علم، ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

الحاصل: أن أهل السنة يقولون[٢]: القرآن كلام الله -سبحانه وتعالىٰ- غير مخلوق، وامتُحنوا في ذلك محنة شديدة في أيام المأمون، والمعتصم، والواثق من خلفاء العباسيين، امتحنوا محنة شديدة؛ لأن الجهمية والمعتزلة تغلبوا علىٰ هذه الدولة واستولوا فيها علىٰ المناصب في عهد المأمون والمعتصم والواثق، فكانت الكلمة الأولىٰ والأخيرة لهم، فتسلطوا علىٰ أهل السنة وطلبوا منهم أن يقولوا: (إن القرآن مخلوق)، ألزموهم إلزامًا، من لم يقل: (القرآن مخلوق) يفصل من وظيفته إذا كان موظفًا، وإذا كان أسيرًا ذهب يجاهد في سبيل الله وأسر لا يفك الأسر عنه، إلا إذا قال: القرآن مخلوق.

---

(١) انظر "الملل والنحل" (١/ ٣٩).

(٢) انظر "السنة" (١/ ٦٩) للإمام عبدالله بن أحمد، و"الإبانة" (٣/ ٢٩٢) لابن بطة، و"الشريعة" (١/ ٢١٤) للآجري، و"شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٢/ ٢٢٧) للَّالكائي.

فإذا لم يقل هذا الباطل تركوه في أسر الكفار، ولاحقوا أهل السنة، وقتلوا بعضهم، وسجنوا بعضهم وفعلوا بهم الأفاعيل.

لكن الإمام أحمد رحمه الله وفقه الله -تبارك وتعالىٰ- وثبته، فلم يقل الباطل أبدًا ولم يتزحزح عن كلمة الحق، وكانوا يناظرونه فيقول: (ائتوني بدليل من كتاب الله ومن سنة رسوله عليه الصلاة والسلام).

فلا يستطيعون أن يأتوا بدليل من كتاب الله ولا من سنة رسول الله أن القرآن مخلوق، ويحاجهم ويدمغهم بالحجج والبراهين من كتاب الله ومن سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

وناظرهم في هذا صاحب "الحيدة" عبدالعزيز الكناني وأفحمهم[1]، وناظرهم عالم اسمه عبدالله بن محمد الأذرمي[2] وأفحمهم، ثم بعد ذلك أطفئت هذه الفتنة في أيام المتوكل علىٰ الله الخليفة العباسي رحمه الله وجزاه الله أحسن الجزاء-، أطفأ هذه الفتنة الجهمية الاعتزالية ونصر السنة ورفع رايتها وأعز الله أهل السنة بقمعه لأهل الباطل رحمه الله.

والأشعرية والكلابية يقولون: القرآن كلام الله، لكن ما هو هذا القرآن؟، يقولون: (إنه المعنىٰ النفسي القائم بذات الله ليس بحرف ولا صوت).

---

(١) انظر "الإبانة" (٤/ ٩٣) وقد حقق كتاب "الحيدة" فضيلة الشيخ الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي -حفظه الله- وأثبت نسبة الكتاب للإمام الكناني رحمه الله ورد علىٰ المشكِّكين في ذلك بما لا تجده في غيره؛ فانظره غير مأمور (ص: ٦-١٥).

(٢) انظر "الإبانة الكبرىٰ" (٤/ ١٢١) لابن بطة، و"الشريعة" (١/ ٢٣٩) للآجري.

فهذا كلام باطل يرده كتاب الله وسنة الرسول، كما ذكرت لكم أن الله يتكلم وما زال يتكلم أزلا وأبداً، والأدلة علىٰ ذلك كثيرة[(١)].

ومنه كلامه تعالىٰ -القرآن الكريم- وأنه تنزيل منه -سبحانه وتعالىٰ-:

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وقد أسلفنا عددًا من الأدلة علىٰ ذلك.

(١) انظر "شرح أصول السنة" (٣٢-٣٧)، و"شرح عقيدة السلف" (٨٠- ١٠٦) للشيخ ربيع -حفظه الله- فثمَّة تتمّات وفوائد.

(٣) وقَالا: وَالْقَدَرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ مِنَ اللهِ عَزّ وَجَلّ.

الشرح

القدر كله، خيره وشره من الله -تبارك وتعالىٰ-، فالله لا يكون في ملكه إلا ما يريد، ولا خالق ولا بارئ لهذه المخلوقات إلا الله، ولا يحصل في هذا الكون من حركة ولا سكون إلا هو خالقه، ولا يحصل إلا بمشيئته وإرادته سبحانه وتعالىٰ.

وعلم الله -سبحانه وتعالىٰ- من الأزل، علم ما الخلق عاملون، وقدّر أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم، وعلم ما سيكون إلىٰ أبد الآبدين، علم ذلك ثم بعد ذلك كتبه في اللوح المحفوظ ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾[يس: ١٢].

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾[الحديد:٢٢]، ﴿فِي كِتَٰبٖ﴾؛ أي: في اللوح المحفوظ، ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾.

هذه المخلوقات وهذه المصائب فالله قدَّرها، ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾[القمر:٤٩].

فالله -سبحانه وتعالىٰ- علم أفعال العباد وخلقها وقدَّرها، وعلم ما كان

وما سيكون إلىٰ أبد الآبدين، وما من حركة ولا سكون في هذا الكون من الملائكة، والجن، والإنس، والدواب، إلا والله خالقها ويعلمها -سبحانه وتعالىٰ-، لا تخفىٰ عليه خافية، ولا يفوت علمه شيء، وكل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ.

قال رسول الله ﷺ: «**خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ**» أمره الله أن يكتب، «**قَالَ: وَمَا أَكْتُبْ؟، قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ**»(١) فكتب القلم مقادير كل شيء إلىٰ قيام الساعة، قال فرعون لموسىٰ: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه:٥١-٥٢].

الله -سبحانه وتعالىٰ- لا يضل ولا ينسىٰ، ولكن لحكمته، وسنَّته: أن يكتب، وإلا ليس بحاجة إلىٰ الكتابة فإنه لا يضل ولا ينسىٰ، ولكن من ربوبيته -سبحانه وتعالىٰ- يفعل ما يشاء.

كتب هذه الأشياء التي قدّرها -سبحانه وتعالىٰ-، كتبها في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

---

(١) **صحيح**، أخرج أحمد (رقم: ٥/ ٣١٧) وأبو داود في كتاب (السنة، باب: القدر) (رقم:٤٧٠٠)، والترمذي في كتاب (القدر) (رقم: ٢١٥٥و٣٣١٩) عن عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**»، وقال الألباني: "حديث صحيح". انظر "ظلال الجنة" (١/ ٤٨).

ومراتب القدر عند أهل السنة أربع:

- المرتبة الأولىٰ: عِلمه وكتابته لكل هذه المعلومات من المخلوقات وحركاتها وسكناتها، وأقدارها وآجالها، وهذا طويل وهذا قصير، وهذا غني وهذا فقير، كلها علمها في الأزل.

- المرتبة الثانية: كتابة ذلك في اللوح المحفوظ.

- المرتبة الثالثة: الخلق ومن ذلك كتابة قدر الجنين، الكتابة عند نفخ الروح، يأمر الله -سبحانه وتعالىٰ- الملك أن يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد.

- المرتبة الرابعة: مرتبة المشيئة الشاملة، فلا يكون في هذا الكون شيء إلا بمشيئة الله وإرادته -سبحانه وتعالىٰ-، ويكون بقدرة الله، فلا شيء يخرج عن مشيئته وإرادته، ولا شيء يخرج عن قدرته.

ومن ذلك أفعال العباد، أعمال العباد مخلوقة لله، ومع أنها مخلوقة لله فقد منح الله المكلَّفين العقول، والأسماع، والأبصار، والقدرة، والإرادة، وهذه الأمور يحاسبون بسببها، فيأتي العمل الصالح باختياره، ويأتي العمل السيئ باختياره وإرادته وقدرته، فيكتب الله ذلك عليه، ولا منافاة بين مشيئة الله -سبحانه وتعالىٰ- وبين كون العباد فاعلين، لا منافاة بين كون الله يخلق هذه الأعمال ويشاؤها، لا منافاة بين أن العباد عاملون لأعمالهم مسؤولون عنها.

فالعبد هو: المؤمن، والكافر، والبر والفاجر والمصلي، والصائم،

والصادق، والكاذب، هذه صفاتهم وهذه أعمالهم وهذه ذنوبهم، ولا يوصف بها إلا هم، والله -سبحانه وتعالىٰ- لا يوصف بهذه الأعمال، وإن شاءها وقدَّرها وكتبها فلِعظمته وجلاله، لا يحدث في هذا الكون شيء إلا بإرادته، ولا يوجد مخلوق إلا والله خالقه سبحانه وتعالىٰ.

والعباد عاملون، والله خالقهم وخالق أعمالهم، وهم مكلَّفون، وهم مسؤولون، وهم مأمورون، وهم منهيون، وهم الذين يجازون علىٰ أعمالهم.

فالقدرية يقولون(١): أفعال العباد ما يخلقها الله، خارجة عن مشيئة الله -تبارك وتعالىٰ- قبحهم الله، يعني: أن لله أندادًا يفعلون أشياء هو لا يريدها فيفعلونها بدون إرادته ومشيئته، قبحهم الله.

لا يكون في هذا الكون إلا ما أراده وشاءه؛ لأن هذا ملكه سبحانه وتعالىٰ، فالعباد وإن فعلوا فإن أفعالهم راجعة ومخلوقة لله ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات:٩٦]، ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[الرعد:١٦]؛ من الأقوال، والأعمال، والأجسام، وكل الموجودات الله هو خالقها، والعباد فاعلون لأعمالهم باختيارهم وقدرتهم وإرادتهم، وباعتبار هذه الأمور الموجودة فيهم هم مسؤولون عن أعمالهم.

يقابل القدرية: الجبرية، يقولون(٢): (إن العبد لا يفعل شيئًا وليس هو

---

(١) انظر "الفرق بين الفرق" (١١٤)، و"الملل والنحل" (١/ ٤٠).

(٢) انظر "الملل والنحل" (١/ ٦٧ -٦٨).

الفاعل، الله هو الفاعل لكل شيء وأفعال العباد إنما هي أفعاله، فهم مجبورون عليها، والخلائق من الجن والإنس لا إرادة لهم ولا اختيار، وإنما هم مسيَّرون وإن حركاتهم مثل حركات الأشجار تحركها الرياح) قبحهم الله.

هذا كذب ويخالف الواقع؛ العمل الاضطراري يختلف تمامًا عن العمل الاختياري، وكل إنسان بل حتىٰ الحيوانات تفرق بين الأعمال الاختيارية والأعمال الاضطرارية، فالكلب حينما ترميه بالحجارة ما يلحق الحجر ليأخذه، ترميه بالحجر يصيبه يتركه ويأتيك لماذا؟ لأنه يعلم أنه لا اختيار للحجر، يعرف أنك أنت الفاعل المختار الذي قصدته بهذا، وكل الحيوانات كذلك.

وكل الناس كذلك، أحدهم إذا فعل المعصية يقول: (الله قدرها عليَّ، اللهُ شاءها، الله أجبرني علىٰ هذا العمل)، طيب لكن تأتيه تأخذ ماله هل يتركك؟، تضربه هل يتركك؟ لا، يحاربك ويذهب يشتكي إلىٰ المحاكم وكذا وكَذا، فهم متناقضون وتناقضهم هذا دليل علىٰ بطلان مذهبهم.

علىٰ كل حال القدر عند أهل السنة ما ذكرته[(١)]:

١) أن الله -سبحانه وتعالىٰ- عَلِم الأشياء قبل كونها، علمها الله كلها سبحانه وتعالىٰ، وعلم الآجال والأرزاق والأعمال وكل شيء.

---

(١) انظر "الإبانة الكبرىٰ" (٢/ ٣٠٩)، و"الشريعة" (١/ ٣١٨)، و"شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٣/ ٥٣٤)، و"شرح أصول السنة" (٢٥ -٢٩) طبعة الميراث النبوي، و"شرح عقيدة السلف" (٣١٦) للشيخ ربيع حفظه الله.

٢) ثم دوَّنه في اللوح المحفوظ.

٣) ثم الخلق.

٤) ثم بعد ذلك مرتبة رابعة هي: مشيئة الله الشاملة لكل شيء التي لا يفوتها شيء، فلا يكون في هذا الكون إلا ما شاءه سبحانه وتعالىٰ.

٥) ثم كتابة الأعمال اليومية.

ومع ذلك العباد مكلّفون ومأمورون ومنهيون، وما خلقهم الله إلا لعبادته وإلا ليأمرهم وينهاهم ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، وهو يحاسب الكافرين ويدخلهم النار ويخلّدهم بأعمالهم التي أتوها باختيارهم.

يقولون مثلًا وهذا المعروف: إن الله -سبحانه وتعالىٰ- يوفق أهل الخير وأهل الإيمان، يوفقهم للأعمال فبتوفيقه يوفَّقون للأعمال ويقومون بالأعمال المطلوبة منهم، والكفار ما أعطاهم وهذا حقه هذا فضله إن شاء أعطىٰ وإن شاء منع، فوكل هؤلاء إلىٰ أنفسهم وذهبوا يتخبطون في الظلم والضلال والجهل والكفر والفسوق.

(وَكَلَهُمْ اللهُ إِلَى أَنْفُسِهِمْ)، والعياذ بالله، ولم يُعطهم من فضله الذي هو فضله وهو يعطي من يشاء ويمنع من يشاء لأنه رب العالمين، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[الأنبياء:٢٣].

لا يُقال: لماذا ما أعطيت فلاناً؟ لماذا ما هديت فلاناً؟

الله يهدي من يشاء ويُضل من يشاء -سبحانه وتعالىٰ-، وخلق الجنة ولها أَهْلُون، وخلق النار ولها أَهْلُون، ولكليهما علىٰ الله مِلْئُها.

«تَحَاجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعَجَزُهُمْ، فَقَالَ اللهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي».(١)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب: قوله "وتقول هل من مزيد" رقم ٤٨٥٠وفي كتاب: (التوحيد)، باب: ما جاء في قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[الأعراف:٥٦] (رقم: ٧٤٤٩)، ومسلم في كتاب (الجنة وصفة نعيمها وأهلها)، (رقم: ٢٨٤٦) واللفظ له.

٤ وَخَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﵃، وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ.

الشرح

فمن عقائد أهل السنة ومن أصولهم احترام أصحاب رسول الله ﷺ وحبهم واعتقاد فضلهم علىٰ سائر قرون الأمة رضوان الله عليهم.

(وَخَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ).

لا شك في هـذا عند أهـل السنـة، ويشاركهم في هذا الخوارج؛ يفضلون أبا بكر، وعمـر، ثم يبغضون عثمان ومن بعده: عـليٌّ وغيره، لكن أهـل السنـة -والحمد لله- هم دائمًا يدورون مع الحق ومع النصوص حيثُما دارت رضوان الله عليهم.

فعرفوا لأصحاب رسول الله قدرهم وعرفوا تفاوتهم في الفضل، وأن هناك بينهم تفاوتًا في الفضل؛ كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ بدأ بأبي بكر ﵁؛ لأنه خير هذه الأمة ولا شك في ذلك عند أهل السنة ولا ينتطح عندهم فيه عنزان كما يُقال.

من ذلك: أن رسول الله ﷺ صرح بفضل أبي بكر: «**إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا**

بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ»[(١)].

روىٰ ثلاثة[(٢)] من الصحابة هذه الخيرية لأبي بكر رضي الله عنه روىٰ ذلك الشيخان: البخاري ومسلم وغيرهما.

«**وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ**»، هذه الخُلَّة هي غاية المحبة ولا يبذلها رسول الله لغير ربه -سبحانه وتعالىٰ-، هو الذي يحبه غاية المحبة وكذلك خليل الله إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- يحب ربه غاية الحب الذي لا يُلحق.

الشاهد في هذا الحديث: أنه ينص علىٰ أفضلية أبي بكر علىٰ سائر الصحابة، «**إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ**» هذا شيء.

والثاني: أن رسول الله ﷺ يقول: «**وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ**»، يعني: يقدمه علىٰ كل الناس، هذا صريح في تفضيل أبي بكر رضي الله عنه علىٰ عمر وعلىٰ غيره من الصحابة أجمعين، وهو خير الناس بعد الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- بعد الأنبياء والرسل يأتي أبو بكر الصديق رضي الله عنه؛ لأنه أول من أسلم هذا قول، وبذل نفسه وماله في نصرة الإسلام في أيام خذله فيها الناس -عليه الصلاة والسلام- وأعتق بلالًا وأعتق غيره، وكان

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: (فضائل أصحاب النبي ﷺ)، (رقم: ٣٦٥٤).

(٢) وَهُمْ: عبدالله بن مسعود، وأبو سعيد الخدري، وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين، وانظر: "صحيح البخاري" (رقم: ٤٦٦و٤٦٧)، ومسلم في كتاب: (فضائل الصحابة)، (٢٣٨٢و ٢٣٨٣).

يبذل نفسه وماله في نصرة الإسلام -رضوان الله عليه- فاستحق هذه المرتبة.

عُمَر كان شديدًا علىٰ الإسلام ولم يُسْلم إلا في السنة الخامسة، أما أبو بكر فمنذ أن سمع رسول الله يدعو يقول: أنا رسول الله صدقه ولم يتردد رضي الله عنه.

وعمر أعز الله به الإسلام، حفظ الله به الإسلام، قال ابن مسعود رضي الله عنه: "مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ".(١)

ثم لهم من الجهاد والفضل ما يفوقون به غيرهم، أبو بكر قضىٰ علىٰ حركة الردة ثم دفع الجيوش للجهاد في سبيل الله إلىٰ العراق والشام رضي الله عنه.

ثم تلاه عمر رضي الله عنه في الفتوحات ونشر الإسلام، وفي إقامة العدل في الأرض رضي الله عنه، ملأ الدُّنيا عدلًا رضي الله عنه وله من الفضائل الشيء الكثير.

من فضائل عمر رضي الله عنه:

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ حَتَّىٰ إِنِّي لَأَرَىٰ الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ**» قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**العِلْمَ**».(٢)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ**

---

(١) انظر: "صحيح البخاري" (رقم: ٣٦٨٤و ٣٨٦٣)، و"فضائل الصحابة" (١/ ٢٧٧ رقم: ٣٦٨) للإمام أحمد.

(٢) انظر: "صحيح البخاري" (رقم: ٨٢ و٣٦٨١)، ومسلم (٢٣٩١).

عُمَرُ بْنُ الخطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ». قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**الدِّينَ**»(١).

أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، **ثم عثمان** رضي الله عنه: له من الفضائل رضي الله عنه: أن رسول الله قال: «**مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلَ دَلْوَهُ مَعَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ؟**»(٢) فاشتراه؛ فحُظي بهذا الوعد، هذا الوعد من رسول الله عليه الصلاة والسلام.

في جيش العسرة قال: «**من يجهز الجيش؟**» أو كما قال -عليه الصلاة والسلام، فجهز عثمان نصف الجيش(٣).... وقدم الذهب والفضة رضي الله عنه

---

(١) انظر: "صحيح البخاري" (رقم: ٢٣ و٣٦٩١)، ومسلم (٢٣٩٠).

(٢) قال البخاري في كتاب: (فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه)، وقال النبي ﷺ: «**مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ**». فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ، وَقَالَ: «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ**» فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ.

وانظر كتاب: (الوصايا، باب: إذا وقف أرضًا أو بئرًا، واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين) (رقم: ٢٧٧٨)، والترمذي في كتاب (المناقب) (رقم: ٣٧٠٣)، والنسائي في كتاب الأحباس رقم (٨٠٦٣)، وانظر "إرواء الغليل" (٦/ ٣٨-٤٠).

(٣) قال الإمام أحمد رحمه الله في المسند (١/ ٥٩): حَدَّثَنَا أَبُو قَطَنٍ حَدَّثَنَا يُونُسُ يَعْنِي ابْنَ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ أَشْرَفَ عُثْمَانُ رضي الله عنه مِنَ الْقَصْرِ وَهُوَ مَحْصُورٌ فَقَالَ: أَنْشُدُ بِاللَّهِ مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حِرَاءٍ إِذْ اهْتَزَّ الْجَبَلُ فَرَكَلَهُ بِقَدَمِهِ ثُمَّ قَالَ: «**اسْكُنْ حِرَاءُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ**» وَأَنَا مَعَهُ؟ فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ، قَالَ: «**أَنْشُدُ بِاللَّهِ مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ إِذْ بَعَثَنِي إِلَى الْمُشْرِكِينَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ قَالَ هَذِهِ يَدِي وَهَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ** رضي الله عنه» فَبَايَعَ لِي؟ فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ. قَالَ: أَنْشُدُ بِاللَّهِ مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ يُوَسِّعُ لَنَا بِهَذَا الْبَيْتِ فِي الْمَسْجِدِ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ**» فَابْتَعْتُهُ مِنْ مَالِي فَوَسَّعْتُ بِهِ الْمَسْجِدَ؟ فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ. قَالَ: وَأَنْشُدُ بِاللَّهِ مَنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ جَيْشِ الْعُسْرَةِ قَالَ: «**مَنْ يُنْفِقُ الْيَوْمَ نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةً**»، فَجَهَّزْتُ نِصْفَ=

فقال: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا فعَلَ بَعْدَ اليَوْم»(١).

وكذلك من فضائله: أن الرسول ﷺ في صلح الحديبية ابتعثه إلىٰ قريش ليهدئ فتنتهم؛ لأنه كان له جاه أكثر من غيره، فذهب عثمان رضي الله عنه ودعا الداعي إلىٰ البيعة تحت الشجرة في الحديبية فبايع رسول الله أصحابه ثم وضع يده اليمنىٰ علىٰ يده اليسرىٰ وقال: «**هذه لعثمان**» وهذه مزية له رضي الله عنه.(٢)

وله من الفضل والبذل والإنفاق في سبيل الله الشيء الكثير رضي الله عنه.

الْجَيْشِ مِنْ مَالِي؟ قَالَ: فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ. وَأَنْشُدُ بِاللَّهِ مَنْ شَهِدَ رُومَةَ يُبَاعُ مَاؤُهَا ابْنَ السَّبِيلِ فَابْتَعْتُهَا مِنْ مَالِي فَأَبَحْتُهَا لِابْنِ السَّبِيلِ؟ قَالَ: فَانْتَشَدَ لَهُ رِجَالٌ.

أقول: والحديث صحيح، وانظر تحقيق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله للمسند (١/ ٣٤٠) و"صحيح سنن النسائي" (رقم ٣٦٠٩) للشيخ الألباني رحمه الله.

(١) **حسن**، أخرجه أحمد (٥/ ٦٣)، والترمذي في كتاب (المناقب) (رقم: ٣٧٠١)، وقال الألباني: "**حديث حسن**"، انظر: "المشكاة" (٣/ ١٧١٣، رقم: ٦٠٦٤).

(٢) قال الإمام البخاري رحمه الله في كتاب: (فضائل أصحاب النبي ﷺ) باب: مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه (رقم: ٣٦٩٨): حَدَّثَنَا مُوسَىٰ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ هُوَ ابْنُ مَوْهَبٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ الْبَيْتَ، فَرَأَىٰ قَوْمًا جُلُوسًا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ؟ فَقَالُوا هَؤُلَاءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ، إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ فَحَدِّثْنِي، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ، أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا، وَسَهْمَهُ**» وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُثْمَانَ وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَىٰ مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَىٰ: «**هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ**». فَضَرَبَ بِهَا عَلَىٰ يَدِهِ، فَقَالَ: «**هَذِهِ لِعُثْمَانَ**» فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الْآنَ مَعَكَ.

ولعلي رضي الله عنه مناقب كثيرة منها:

قول النَّبيِّ ﷺ لِعَلِيٍّ: «**أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ**»، وَقَالَ عُمَرُ: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ»[(١)].

وقال ﷺ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ، أَوْ لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**، أَوْ قَالَ: **يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ**»، فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ، فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ. فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّايَةَ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ.[(٢)]

وقَالَ النَّبيُّ ﷺ لِعَلِيٍّ: «**أَمَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ؟**»[(٣)].

وهذا باتِّفاق أهل السنة، هذا التفضيل يفضلون بين الصحابة أبو بكر أولًا ثم يتلوه عمر ثم يتلوه عثمان ثم يتلوه عليٌّ رضي الله عنه، علىٰ ترتيب خلافتهم رضوان الله عليهم.[(٤)]

---

(١) انظر "صحيح البخاري" كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ باب: مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسين رضي الله عنه وكتاب المغازي رقم (٤٢٥١)، وكتاب الجنائز رقم (١٣٩٢) و"صحيح مسلم" كتاب: فضائل الصحابة رقم (٢٤٠٤).

(٢) انظر "صحيح البخاري" كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ باب: مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسين رضي الله عنه رقم (٣٧٠٢)، و"صحيح مسلم" كتاب: فضائل الصحابة رقم (٢٤٠٧).

(٣) انظر "صحيح البخاري" كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ باب: مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسين رضي الله عنه رقم (٣٧٠٦)، و"صحيح مسلم" كتاب: فضائل الصحابة رقم (٢٤٠٤).

(٤) أخرج البخاري في كتاب: (فضائل أصحاب النبي ﷺ) (رقم: ٣٦٩٨) عَن ابْنِ عمرَ قَالَ: «كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ».

فضلهم علىٰ هذا الترتيب، وترتيب خلافتهم ومن طعن في خلافة أحد منهم فهو ضال مضل، يقول شيخ الإسلام: "أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ"(١)، لكن في المفاضلة بين عليٍّ وعثمان فقط كان بعض أهل السنة يفضل عليًّا علىٰ عثمان، ثم استقر الأمر علىٰ اتفاق أهل السنة علىٰ تفضيل أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وكلهم خلفاء راشدون رضي الله عنهم.(٢)

«عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».(٣)

---

(١) انظر "العقيدة الواسطية" (٢٤٣).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "العقيدة الواسطية" (٢٤١ - ٢٤٣): "وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَالْعَشَرَةِ، وَكَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَغَيْرِهِ؛ مِنْ أَنَّ: خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رضي الله عنهم؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآثَارُ.

وَكَمَا أَجْمَعَتِ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ، مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَىٰ تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؛ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟

فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ، وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ. وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا. وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا.

لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَىٰ: تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ. وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ -مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ- لَيْسَتْ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ.

لَكِنَّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ.

وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ: بِأَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رضي الله عنهم، وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ".اهـ

(٣) **صحيح**، أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦-١٢٧)، وأبو داود في كتاب: (السنة باب: في لزوم السنة (رقم:٤٦٠٧)، والترمذي في كتاب: (العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (رقم:٢٦٧٦)، وابن ماجه في المقدمة (باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين) (رقم:٤٢)، وانظر: "الإرواء" (٨/ ١٠٧، رقم:٢٤٥٥).

الناس يفزعون عند الاختلافات إلىٰ هدىٰ رسول الله ﷺ، وإلىٰ هدىٰ الخلفاء الذين وصفهم الرسول ﷺ بأنهم: راشدون، ووصفهم بأنهم علىٰ: هدىٰ، وأن هذا الهدىٰ يقتدىٰ به، وأنهم راشدون -رضوان الله عليهم- فبرَّأهم من الضلال، وبرَّأهم من الغَي، لأن الرُّشد ضِدُّ الغَي، والهُدىٰ ضِدُّ الضَّلال رضي الله عنهم فهم أهل تقوىٰ وأهل هدىٰ وأهل رشد.

لذا حثَّ رسولُ الله ﷺ الأمَّة عند اشتداد الخلافات بين الفِرق أن يفزع الصّادقون المُخلِصون إلىٰ ما كان عليه رسول الله، وهؤلاء الرَّاشدون رضوان الله عليهم.

عليٌّ رضي الله عنه له فضائل كثيرة جدًّا، فضائل الصحابة عمومًا دُوِّنت في دواوينَ كثيرة، ما من كتاب من كتب السُّنة إلا وتجد فيه فضل الصحابة، وأُلفت فيه كتب خاصة في بيان فضلهم، ومنها:

١ "فضائل الصحابة" لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

٢ "معرفة الصحابة" لأبي نعيم.

٣ "الإصابة" لابن حجر.

٤ "الاستيعاب" لابن عبد البر.

٥ "أُسد الغابة" لابن الأثير.

كل هذا في الصحابة -رضوان الله عليهم- لبيان صحبتهم وبيان فضلهم رضوان الله عليهم.

(وَالتَّرَحُّمُ عَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَالْكَفُّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ).

الترضي عن الصحابة -رضوان الله عليهم- بخلاف الخوارج والروافض والنواصب.

هناك خوارج يطعنون ويكفِّرون مَنْ بَعد أبي بكر وعمر: عثمانَ وعليًّا ومَن بعدهم، والمعتزلة يطعنون فيمن شارك في القتال بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهم ويطعنون في عدالتهم، قبحهم الله.

والروافض -قبحهم الله- يطعنون في كل الصحابة إلا ثلاثة أو أربعة إلا عليًّا وبلالًا وعمارًا وسلمان والمقداد كما يقولون، أمَّا أبو بكر، أمَّا عمر، أمَّا عثمان فهؤلاء يكفِّرونهم ويجزمون أنهم في النار عليهم من الله ما يستحقون قبحهم الله هم الكفار.

يكفِّرونهم ويَرَوْن أنَّ أبا بكر وعمر من أشدِّ الناس عذابًا -قبحهم الله- في الدَّركات السفلىٰ من النار -قبحهم الله؛ الدجالين الكذابين- نسأل الله أن يجعلهم في الدركات السفلىٰ؛ لأنهم يجمعون بين الزندقة والنفاق، والمنافقون في الدَّرك الأسفل من النار، نسأل الله أن يحشرهم مع المنافقين قاتلهم الله.

والخوارج يطعنون لكن ما وصلوا إلىٰ ما وصل إليه الروافض -قبحهم الله- ثم الروافض يجمعون إلىٰ بُغضهم للصحابة فكر الجهمية وفكر

المعتزلة وفكر الخوارج، وكلُّ بلاءٍ فيهم قبحهم الله.[(١)]

أما أهل السنة [(٢)] فهُم يتَّبعون في ذلك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فالله أثنىٰ عليهم وأخبر أنه رضي عنهم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠]، هذا خبر الله -سبحانه وتعالىٰ- وشهادة لهم، وأنه رضي عنهم وأعدَّ لهم جنات خالدين فيها -رضوان الله عليهم- فماذا يريد المؤمن الناصح الصادق بعد هذا.

كذلك قوله -سبحانه وتعالىٰ-: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

(١) انظر أقوال هذه الفرق الضالة في كتاب "وسطية أهل السنة بين الفرق" في الفصل الرابع: (وسطيتهم في باب الصحابة ﷺ) (ص: ٣٨٨) للدكتور محمد با كريم محمد با عبدالله، وقد اختصره فضيلة الشيخ الدكتور خالد بن ضحوي الظفيري -وفقه الله- انظره في (شبكة سحاب السلفية) من خلال هذا الرابط:

http://www.sahab.net/forums/index.php?showtopic=١٢٠٧٤٨.

(٢) انظر: "الشريعة" (٢/ ٤٢٥) و(٣/ ٥٥٤)، و"شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٨/ ٤٧)، و"شرح الطحاوية" (٢/ ٦٨٩)، و"شرح أصول السنة" (٦٤)، و"شرح عقيدة السلف" (٣٧٢) للشيخ ربيع حفظه الله.

خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ٨-١٠].

فالله -سبحانه وتعالىٰ- أثنىٰ عليهم في هذه الآيات وأنهم أُخْرِجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا، وأن الأنصار -رضوان الله عليهم- قدموا لهم أموالهم بحيث أنهم يؤثرون علىٰ أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وأثنىٰ علىٰ من يتبعهم ويترضىٰ عنهم ويستغفر لهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾، سبقونا بالإيمان هذه شهادة من الله.

﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ قاتل الله من يبغض أصحاب رسول الله ﷺ قاتل الله أهل الغِلِّ.

مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كفَّر هؤلاء قال: "ليس لهم حق الفَيْءِ".(١)

وأيضًا قال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ

(١) انظر "السنة" (٣/ ٤٧٨، رقم: ٧٦٠)، و"تفسير البغوي" (٤/ ٢٤٩)، و"تفسير ابن كثير" (١٣/ ١٣٥).

فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾[الفتح:٢٩]، فهذه تزكية من الله -سبحانه وتعالىٰ- لمحمَّد وأصحابه، وهذه التزكية وردت في التوراة والإنجيل كما في الآية: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾، الله -سبحانه وتعالىٰ- يطلب مِنَّا الشدة علىٰ الكفار، كيف إذا كان ما عندنا شدة كيف نقاتلهم؟ كيف نُدخلهم في الإسلام؟ يُدخلهم المؤمنون الجنة بالسلاسل؛ فهم أشداء علىٰ الكفار لكن دعوتهم فيها حكمة يدعون الكفار إلىٰ الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وبيان الحق وإقامة للبراهين، فإن أَبَوْا؛ قاتلوهم لأنهم أعداء الله؛ لأنهم تمرَّدُوا علىٰ الله -تبارك وتعالىٰ- خلقهم الله لعبادته -سبحانه وتعالىٰ- وسخّر لهم ما في السموات والأرض وأمدّهم بالنِّعم التي لا تُحصىٰ ثم بعد ذلك يَكْفُرون بالله وبكتبه وبرسله وباليوم الآخر، فماذا يستحقون؟.

كثير من تلاميذ الغرب لا يرون الجهاد لإعلاء كلمة الله ولا يرون الشدة علىٰ الكفار بل يدعون إلىٰ مؤاخاة الأديان ووحدة الأديان في الوقت الذي يبغض فيه اليهود والنصارىٰ المسلمين أشد البغض ويعادونهم أشد العداوة.

بل الخبثاء يذهبون إلىٰ بلدان المسلمين فيقتلونهم في بلدانهم يغزون بلدانهم ثم يتباكون ويقولون: الإرهاب من الإسلام، الإسلام ليس فيه

إرهاب، الإسلام فيه جهاد لإعلاء كلمة الله -تبارك وتعالىٰ- وهذا الجهاد والله خير لهم من تعطيل الجهاد لأن بسبب الجهاد دخلت أمم وشعوب في الإسلام ودخل في الإسلام بشر كثير بسبب الأخلاق العالية التي كان يتمتع بها أصحاب رسول الله ﷺ.

حتىٰ إن الروم النَّصارىٰ[(١)] لما رأوا أصحاب رسول الله ﷺ وَسَمْتَهم وهيئتهم وأخلاقهم وتصرفاتهم قالوا: هؤلاء والله خير من الحواريين، هم يُعظِّمون الحواريين حتىٰ إنهم ليعبدونهم، ومع ذلك شهدوا بأن هؤلاء أصحاب محمَّد خير من الحواريين، لذلك دخل أكثرهم في الإسلام بسبب هذا الجهاد الذي بذلوه، ثم بعد هذا الجهاد رفق ولين وحكمة وعلم وفضل ودعوة حكيمة رضوان الله عليهم.

يصفهم الله بقوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ ترىٰ الرجل فتعرفه من منظره أنه صاحب هدىٰ وأنه صاحب دِين وأنه صاحب خُلُق فيُعْرَفون بسيماهم من أثر السجود ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾[الفرقان:٦٤]، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان:٦٣-٦٤]، هذه تعني أصحاب محمد في الدرجة الأولىٰ -رضوان الله عليهم-، هذه أخلاقهم، هذه صلتهم بالله

(١) قال ابن كثير في "تفسيره" (١٣/ ١٣٤): "وَقَالَ مالك ﷺ: بَلَغَنِي أَنَّ النَّصَارَىٰ كَانُوا إِذَا رَأَوُا الصَّحَابَةَ ﷺ الَّذِينَ فَتَحُوا الشَّامَ يَقُولُونَ: وَاللَّهِ لَهَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ فِيمَا بَلَغَنَا".

تبارك وتعالىٰ، وهذا تعاملهم مع عباده سبحانه وتعالىٰ، ليس عندهم كبر ولا استعلاء تواضع ولين ورفق وحكمة وعبادة.

آيات كثيرة في فضائل أصحاب محمد ﷺ هنا أشار المؤلف إلىٰ من أثنىٰ اللهُ عليه من أصحاب محمد -صلىٰ الله عليه وسلم ورضي عنهم- أنهم علىٰ مراتب، فأهل المرتبة الأولىٰ هم: أهل بدر، ثم أهل الحديبية، ثم مُسلمة الفتح، ثم اختلفوا في ترتيبهم.

يقسمهم بعضهم إلىٰ عشر طبقات علىٰ هذا الترتيب علىٰ حسب تفاوتهم في الفضل وعلىٰ حسب ما قدَّموا وكُلًّا وعد الله الحسنىٰ.

﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠].

كلُّ أصحاب محمد ﷺ موعودون بالحسنىٰ، الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، والذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا؛ لأن الذين أسلموا بعد الفتح كانوا يقاتلون يجاهدون في سبيل الله وبذلوا أموالهم وأنفسهم، وهم بهذه الفضيلة العظيمة لا يلحقون السابقين الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، لا يلحقونهم؛ ذلك عدل الله وذلك تفضيله لمن شاء -سبحانه وتعالىٰ-.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ**

مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ»[(١)]، لو تبذل ما بذلت وتنفق جبالًا من الذهب؛ لا تلحق أصحاب محمد في هذه الفضيلة، وهم أهلٌ لها والله؛ لأنهم أسلموا ورأوا رسول الله ونصروه وجاهدوا في حياته وبعد موته مما يدل على إخلاصهم وصدقهم، وهَدىٰ الله بهم أُمَمًا وشعوبًا، «**وَلأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمُرِ النَّعَمِ**»[(٢)]، كيف وقد هدىٰ الله علىٰ أيديهم شعوبًا -رضوان الله عليهم- نترضىٰ عنهم جميعًا - وما شجر بينهم من خلاف في صِفِّين والجمل هذا لا نُذيعه[(٣)]؛ لأنهم كلهم مجتهدون

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (فضائل أصحاب النبي ﷺ) (رقم: ٣٦٧٣)، ومسلم في كتاب (فضائل الصحابة) (رقم: ٢٥٤٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب (الجهاد والسير) (رقم: ٢٩٤٢)، ومسلم في كتاب (فضائل الصحابة) (رقم: ٢٤٠٦).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "الواسطية" (٢٤٨): "وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ. وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الْآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ:

مِنْهَا: مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا: مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ، وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ ،والصَّحِيحُ مِنْهُ: هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ. بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ.

وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ.

حَتَّىٰ إِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ**».

وَأَنَّ «الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ؛ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ».

ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ عَنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ أَوْ أَتَىٰ بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ=

وللمصيب أجران وللمخطئ أجر واحد -رضوان الله عليهم- ولم يُقاتِلوا من أجل هوًىٰ، وإنما كل منهم مجتهد كان يرىٰ نفسه أنه علىٰ الحق، ثم الذين قاتلوا في الجمل وصفين قليل جدًا، أكثر الصحابة ما شاركوا في القتال؛ لأن الصحابة عند حدوث هذه الفتنة انقسموا إلىٰ ثلاثة أقسام:

- قسم: كان مع عليٍّ رضي الله عنه.
- وقسم: كان مع معاوية وعمرو -رضوان الله عليهما-.
- وقسم ثالث: وهم الأكثر، والأكثر، والأكْثر، وهم بقية أصحاب محمد وعلىٰ رأسهم: عبدالله بن عمر، وأسامة بن زيد، وسعد بن أبي وقاص -رضوان الله عليهم-، هؤلاء توقَّفوا عن الدخول في الفتنة رضي الله عنه، والصواب معهم؛ فإن هؤلاء ما كانوا يرون القتال، والذين دخلوا في القتال مأجورون -إن شاء الله- كلٌّ علىٰ حسب اجتهاده قسم له أجر المصيب والقسم الآخر له أجر المخطئ.

= بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِينَ هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ. أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ بِالْأُمُورِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَأُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ.

ثُمَّ الْقَدْرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ، مِنْ: الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللَّهِ".اهـ

ثم لا نثير هذه المشاكل، لا نقول: فلان وفلان اقتتلوا؛ بل نقول: الذين اشتركوا في القتال ما يزيدون عن الثلاثين، البقية كلهم في سائر البلدان ما دخلوا في هذه الفتنة حتىٰ الوليد بن عقبة ﵁ الذي يُتكلم فيه لما رأىٰ الفتنة اعتزلها وذهب إلىٰ أقصىٰ بلد تبعد عن القتال.

فنحن نترحم عليهم ونترضىٰ عنهم، ونذب عن أعراضهم، ونفديهم بأموالنا وأنفسنا وأبنائنا، رضوان الله عليهم.

نسأل الله أن يحشرنا في زمرتهم وأن يجعلنا من أتباعهم، وعلىٰ طريقهم ومنهجهم.

(٥) وَأَنَّ الْعَشَرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَشَهِدَ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ عَلَى مَا شَهِدَ بِهِ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ.

الشرح

يشيران إلىٰ الحديث الذي يرويه عبدالرحمن بن عوف ومن طريق أخرىٰ أيضًا جاء عن سعيد بن زيد رضي الله عنه: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْن عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْد بن أَبِي وَقَّاصٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيد ابْن زَيْدٍ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْن الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ**»[(١)].

هؤلاء العشرة أفضل من كل الصحابة باتفاق أهل السنة بعد الخلفاء الراشدين -يدخل الخلفاء الراشدون في العشرة- وكلهم مبشَّرون بالجنة- رضوان الله عليهم-، ونقطع لهم بالجنة أنهم من أهل الجنة ولا يضيرهم ما حصل من الخلاف الذي جرىٰ بين الزبير وعليّ وطلحة -رضوان الله عليهم-، لا يضيرهم فإنهم ما أرادوا إلا وجه الله، وما أرادوا إلا الخير رضوان الله عليهم، فلا يضيرهم ذلك.

(١) **صحيح**، أخرجه أحمد (١/ ١٩٣)، والترمذي في كتاب: (المناقب) (رقم: ٣٧٤٧)، وابن ماجه في (المقدمة) (رقم: ١٣٣)، وانظر: "صحيح الجامع" رقم: (٥٠) للشيخ الألباني.

٦ وَقَالا: وَأَنَّ اللهَ عَزّ وَجَلّ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ-، بِلا كَيْفٍ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

الشرح

هذه القضية عظيمة جدًّا ومن أعظم أصول أهل السنة وهو الإيمان بالله وأسمائه وصفاته -سبحانه وتعالىٰ-، وأن الله -تبارك وتعالىٰ- كما وصف نفسه في كتابه وعلىٰ لسان نبيه -عليه الصلاة والسلام-، وكل الصفات التي ثبتت ووردت في كتاب الله وفي السُّنة نؤمن بها ونثبتها لله -سبحانه وتعالىٰ- من غير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تكييف ولا تعطيل.

لا تُكيف كما كيَّف المشبهة؛ تقول: استواء كاستوائي، ونزول كنزولي، ومجيء كمجيئي، ويد كيدي إلىٰ آخر ما يقولون من الضلال والكفر.

وقابلهم غلاة المعطلة أو غلاة النُّفاة، فنفَوا عن الله صفات كماله ونعوت جلاله، ومنها: إنكار أن لله سمعًا وبصرًا وعلمًا وإرادة.

الجهمية أنكرت أسماء الله وصفاته.

المعتزلة أنكروا الصفات: العلم القدرة الإرادة والمجيء وما شابه ذلك وأثبتوا لله أسماء بدون معانٍ فلحقوا بسادتهم الجهمية في تعطيل صفات الله

تبارك وتعالىٰ.[١]

وأهل السنة[٢] يؤمنون بما ورد في كتاب الله وفي سُنَّة رسوله ﷺ من أسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا يؤمنون بها كما وردت ويعتقدون معانيها وينفون عنها التكييف والتشبيه ويثبتونها ضد المعطلة، فإثباتهم لها فيه رد علىٰ المعطلة، ونفي التكييف والتشبيه والتمثيل، فيه رد علىٰ المشبهة.

فالمشبهة كما يقول ابن عيينة أو نعيم بن حماد: (المشبه يعبد صنمًا والمعطل يعبد عدمًا)[٣]، وأهل السُّنة يعبدون الله -سبحانه وتعالىٰ- ذا الكمال والجلال وصاحب الأسماء الحسنىٰ والصفات العليا.

من صفاته العلو، والفوقية، والاستواء علىٰ العرش -سبحانه وتعالىٰ-، هذه الصفة ثابتة بأدلة كثيرة، يقول ابن القيم: إنها تزيد عن الألف[٤] أدلة عقلية ونقلية وفطرية ومن هذه الأدلة:

أن الله -سبحانه وتعالىٰ- صرَّح في سبع آيات محكمات أنه علىٰ العرش

---

(١) انظر "الفرق بين الفرق" (٢٢٥)، و"الملل والنحل" (١/ ٨٢)، "وسطية أهل السنة بين الفرق"، الفصل الأول: (وسطية أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته) (ص: ٣٠٣).

(٢) انظر "الشريعة" (٢/ ٩٣)، و"شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٣/ ٣٨٧-٥٣٤)، و"الحجة في بيان المحجة" (١/ ٩١) للأصبهاني، و"شرح عقيدة السلف أصحاب الحديث" (١٠٧) للشيخ ربيع حفظه الله.

(٣) انظر "بيان تلبيس الجهمية" (١/ ٦)، و"درء تعارض العقل والنقل" (٦/ ٣٤٨)، و(١٠/ ٣٠٦) لابن تيمية رحمه الله.

(٤) انظر "الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة" (٤/ ١٢٧٩) لابن القيم رحمه الله.

استوىٰ، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه:٥]، في سورة (الأعراف) في سورة (يونس)، في سورة (الرعد)، في سورة (طه) في سورة (السجدة) في سبعة مواضع من كتاب الله -سبحانه وتعالىٰ- صرح فيها بأن الله استوىٰ علىٰ العرش.(١)

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾[الفرقان:٥٩] الله أكبر ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ يعني: نفسه أنه خبير فيخبر عن نفسه أنه استوىٰ علىٰ العرش، أخبر بأنه استوىٰ علىٰ العرش وأخبر بصفاته العليا وأسمائه الحسنىٰ، ومع ذلك يقول: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾

---

(١) قال الحافظ عبدالغني المقدسي رحمه الله في كتابه "الاقتصاد في الاعتقاد" (ص: ٨١-٨٢): "فمن صفات الله -تعالىٰ- التي وصف بها نفسه، ونطق بها كتابه، وأخبر بها نبيُّه: أنه مستوٍ علىٰ عرشه كما أخبر عن نفسه فقال عز من قائل في:

١- سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

٢- وقال في سورة يونس عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [يونس: ٣].

٣- وقال في سورة الرعد: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [الرعد: ٢].

٤- وقال في سورة طه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

٥- وقال في سورة الفرقان: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الفرقان: ٥٩].

٦- وقال في سورة السجدة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [السجدة: ٤].

٧- وقال في سورة الحديد: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الحديد: ٤]، فهذه سبعة مواضع أخبر الله فيها سبحانه أنه علىٰ العرش.اهـ

[الشورىٰ: ١١]، فنُثبت كلَّ هذه الصفات ومنها: الاستواء، والنزول، والمجيء، نؤمن بها كما وردت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ونثبت حقائقها وننفي عنها الكيفية والدليل علىٰ نفي الكيفية من القرآن، قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فنفىٰ عن نفسه المشابهة والمماثلة، وأثبت لنفسه السمع والبصر، هذا من أدلة أهل السنة في الرد علىٰ المشبهة والرد علىٰ المعطلة.

الرد علىٰ المشبهة بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ونرد علىٰ المعطلة بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ -سبحانه وتعالىٰ-، حصر المبتدأ في الخبر: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ البصير هذه تفيد التأكيد.

فالله سبحانه كما ذكر وصف نفسه بأنه استوىٰ في سبع آيات، وبأنه سبحانه وتعالىٰ فوق ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، هذا إخبارُ تصديقٍ بفوقية الله -تبارك وتعالىٰ-، الملائكة أين هم؟، في السماء بإجماع المسلمين السابقين، واليهود، والنصارىٰ، والفلاسفة، أن الله في السماء، وأن الملائكة في السماء.

مع الأسف اليهود والنصارىٰ بقي عندهم هذا الجانب من الإسلام وهو الصفات لم يُحرفوه، كل ما يتصل برسول الله وبكتابه حرفوه وما يتصف بصفات الله بقي ثابتًا حتىٰ ذكر لي أحد طلاب العلم بالجامعة الإسلامية لما

كنت مدرسًا بالجامعة، أن نصرانيًا جاء إلىٰ مجموعة من الصوفية عليهم قمص وعمائم، كان يعرف عقيدتهم ويسخر منهم.

قال لهم: أين الله؟.

قالوا: في كل مكان.

فتفل عليهم وقال: الله فوق.

هذا نصراني مع الأسف وبعض هؤلاء المعطلة يناظر النصارىٰ، يناظرهم فيهزمهم في شتىٰ الميادين، فإذا جاء إلىٰ الصفات هزموه، إذا جاء إلىٰ قصة الاستواء خاصة يهزم ويُضْحِك الناس علىٰ الإسلام مع الأسف.

الشاهد: أن من أدلة علو الله -سبحانه وتعالىٰ- وأنه فوق عرشه، هذه الآيات التي ساقها الله في القرآن الكريم لإثبات هذه الصفة العظيمة، ومنها صفة العلو: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[الشورىٰ:٤]، ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى (١) ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[الأعلىٰ:٣].

علو الذات، وعلو القهر، وعلو القدر كل أنواع العلو ثابتة لله -تبارك وتعالىٰ- بينما المعطلة يؤولون هذه الآيات بأن المراد علو القدر وليس علو الذات، والآية تدل علىٰ كل أنواع العلو لله -سبحانه وتعالىٰ-، لأنه لا يتحقق كمال الله إلا إذا تضمنت كل أنواع العلو: علو الذات، وعلو القهر، وعلو القدر.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، يصعد أين؟ الصعود إلىٰ أعلىٰ أم إلىٰ أسفل؟!

الصعود إلىٰ أعلىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ﴾ لأنه في العلو، وأنه فوق سماواته علىٰ عرشه.

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤]، العروج يكون إلىٰ فوق أو إلىٰ تحت؟، لا يقال عروج إذا مشىٰ يمينًا أو شمالًا أو أسفل، ما يقال عروج، لا يقال عروج إلا إذا كان عروجًا إلىٰ السماء إلىٰ أعلىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج:٤-٥]، هذه من أدلة علو الله تبارك وتعالىٰ.

العروج: الصعود، إلىٰ أدلة كثيرة ساقها ابن القيم في نونيته، ولخصتها لكم في هذا الملخص:

- التصديق بالاستواء علىٰ العرش.
- التصريح بالفوقية: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠] الملائكة.
- التصريح بالعلو: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الشورىٰ:٤]، ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ [غافر:١٥].
- نزول الوحي: نزوله من أين يكون؟، من فوق: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢].

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٤].

آيات كثيرة في النزول:

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾[القدر:١].

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[الدخان:٣].

كلها تنص علىٰ أن القرآن مُنَزَّل من عند الله -العلي الأعلىٰ-، المستوي علىٰ عرشه سبحانه وتعالىٰ.

❒ رفعة الدرجات:

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾[غافر:١٥].

❒ التصريح بأن الله في السماء:

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾[الملك:١٦-١٧].

في السماء عندهم ملَك! الملك يهدد هذا التهديد؟!.

الملَك يهدد أن يخسف بالناس الأرض!.

هذا تلاعب في كتاب الله نعوذ بالله من الهوىٰ.

ويفضح هذا التلاعب قوله تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[النحل آية ٤٥].

فأسند الله الخسف إلىٰ نفسه جلا وعلا وذلك من الأفعال العظيمة التي لا تليق إلا به ولا تصدر إلا منه.

❑ اختصاص بعض مخلوقات الله بأنه عند الله تبارك وتعالىٰ: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت:٣٨].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت:٣٧-٣٨].

﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ الملائكة أين؟ في السماء، في العلو والله فوقهم: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠].

في آية أخرىٰ في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

في موضعين عند ربك العندية، عند ربك أين الملائكة؟، الشياطين في الأرض، والملائكة في السماء عند الله -تبارك وتعالىٰ-.

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر:٧]، عرش من؟، عرش الله -سبحانه وتعالىٰ-، فهم عنده يسبحون له وهو فوقهم.

الإشارة بالأصابع إلىٰ جهة العلو:

الرسول -عليه الصلاة والسلام- خاطب أصحابه وعلَّمهم مناسك الحج، وحدَّثهم عن تحريم الدماء، والأعراض، والأنفس، وحرمة البلد الحرام، ثم قال: «**أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟**»، قالوا: نعم. «**أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟**»، قالوا: نعم. «**أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟**»، قالوا: نعم؛ فقال ﷺ: «**اللهُمَّ اشْهَدْ اللهُمَّ اشْهَدْ اللهُمَّ اشْهَدْ**» يرفع إصبعه إلىٰ السماء وينكُتها عليهم»(١)، لو كان الله عنده ما يرفع يده إلىٰ السماء، لو كان في كل مكان كما يقول أهل الهوىٰ، لما كان الدَّاعي يرفع يديه إلىٰ السماء.

وعندما نتشهد: أشهد أن لا إله إلا الله نرفع أصابعنا إلىٰ أين؟

إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ.

والطفل تسأله أين الله؟

يقول لك: في السماء.

والأعجمي الكافر تسأله أين الله؟.

يقول لك: في السماء.

والله لو سألنا النصارىٰ، ولو سألنا الهندوس: من خلقه يقول: الله.

من خلق السماء؟ يقول: الله.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: (العلم) (رقم: ٦٧ و١٠٥)، ومسلم في كتاب (القسامة والمحاربين) (رقم: ١٦٧٩).

أين الله؟

يقول: في السماء.

والله كفارٌ نصارىٰ وهندوس أنا سألتهم وسألهم غيري ويقول هذا الكلام غيري ممن عرف هذه الحقيقة عن الكفار من العجم والعرب.

والمشركون علىٰ شدة معارضتهم وتعنُّتِهم وعِنادهم ما اعترضوا علىٰ آيات الصفات، ولا علىٰ علوه علىٰ عرشه، ولا علىٰ شيء من ذلك بل سلَّموا بذلك.

❑ ومن أدلة علو الله: وَصْفُ الله نفسه بأنه الظاهر:

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣]، الظاهر: فَسَّرَهُ رسول الله: الظاهر الذي ليس فوقه شيء «**اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»[١]، ففسَّر الظاهر بماذا؟، بأنه فوق جميع خلقه ليس فوقه شيء.

جاءت نصوص كثيرة متواترة تدل علىٰ رؤية الله عيانًا بالأبصار.

فمن أدلة علو الله تبارك وتعالى: أن الله أثبت أن عباده في الجنة يرونه سبحانه وتعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، تنظر إليه من

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار) (رقم: ٢٧١٣).

اليمين أو الشمال أو أسفل، تعالىٰ الله عن ذلك؟ من فوق فأدلة الرؤية مما يؤكد علو الله -تبارك وتعالىٰ- عند أصحاب الفطر السليمة والعقول الناضجة.

الرسل كما في الكتب التي سلفت، وكما في القرآن متفقة علىٰ هذه الصفة: أن الله في السماء، وأنه علىٰ العرش استوىٰ.

وأمة الإسلام الذين يُعتَدُّ بإجماعهم وهم خيار هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان يثبتون لله -تبارك وتعالىٰ- هذه الصفة العظيمة، وأنه في السماء وأنه علىٰ العرش استوىٰ سبحانه وتعالىٰ.

بعض هذه الأدلة تكفي مَن عنده أدنىٰ أدْنىٰ مثقال ذرة من خير وعقل، تكفيه بأن يرجع إلىٰ الله تعالىٰ، ويؤمن بصفات الله علىٰ الوجه اللائق بالله تبارك وتعالىٰ.

□ من الأدلة علىٰ علو الله: تكذيب فرعون لموسىٰ.

فرعون كذَّب موسىٰ في رسالته، وكذَّبه بإنكار هذه الصفة بالذات: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر:٣٦-٣٧]، فهذه الآية تدل علىٰ أن موسىٰ أخبر فرعون بأن الله -سبحانه وتعالىٰ- خالق هذا الكون، ربُّ هذا الكون، والذي يستحق أن يُعبد، والذي يجب أن يخضع له فرعون وغيره من الفراعنة

والمجرمين، يجب أن يخضعوا لله ويؤمنوا به، أخبره بأن الله في السماء.

هذا دليل علىٰ أن موسىٰ أخبره أن الله في السماء فتوقع هذا المجرم أن يبيِّن كذب موسىٰ فأخزاه الله وأرداه، وأعز الله موسىٰ ونصره؛ فأهلك هذا العدو الخبيث.

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴾ [الشعراء:٦٣-٦٥]؛ فكان عاقبة فرعون ومن معه الهلاك.

آيات كثيرة أخرىٰ كذَّبَ بها هو وقومه، آيات كثيرة: الجراد، القُمَّل، الضفادع، آيات كثيرة، والعصا واليد؛ كفر بها وكذَّب بها فأهلكه الله وأخزاه نكال الآخرة والأولىٰ.

ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدد من الأدلة علىٰ علو الله إلىٰ واحد وعشرين نوعًا، أنا اخترت منها أربعة عشر بعضها يكفي لإثبات أن الله -سبحانه وتعالىٰ- عالٍ علىٰ خلقه مستوٍ علىٰ عرشه -سبحانه وتعالىٰ- نؤمن بهذا وندين الله -تبارك وتعالىٰ- به وعقولنا وفِطرنا غير عقول المعطلة -قبحهم الله-، كل هذه العقول السليمة توافق النصوص القرآنية والنبوية، والنصوص في الكتب السماوية، وبعض هذه النصوص تكفي لإقناع من عنده مُسْكَةٌ من عقل؛ لأن الله -سبحانه وتعالىٰ- يتنزه أن يكون في كل مكان كما يقول الجهمية -

قبحهم الله- وهذه العقيدة الخبيثة جرَّت غُلاة الصوفية والروافض إلىٰ القول بوحدة الوجود، أنكروا أن الله في السماء وقالوا: في كل مكان، ثم جرَّهم الشيطان إلىٰ عقيدة أخبث منها؛ القول: بوحدة الوجود، قبحهم الله.

(٧) وَاللَّهُ تَبارَكَ وتَعَالَى يُرَى فِي الآخِرَةِ، وَيَرَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِأَبْصَارِهِمْ[١]، كَلامهُ كَيْفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ.

الشرح

هذه من عقائد أهل السنة[٢] التي غَايَرَهُم فيها وخالفهم فيها الجهمية، والخوارج، والروافض، وغيرهم من أهل البدع والضلال[٣]، أنَّ الله -تبارك وتعالىٰ- يُرىٰ في الآخرة، هذه قضية ثابتة في القرآن والسنة.

أما القرآن: فالله -تبارك وتعالىٰ- يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ يعني: حسنة جميلة مضيئة.

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: الله يكرمها في الجنة ويبيض وجوهها، ويعطيهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت.

ثم يضيف إلىٰ ذلك بأن يكرمهم بالنظر إلىٰ وجهه الكريم، وهو عندهم أفضل من كل النعيم في الجنة.

---

(١) وفي نسخة: «وَيَسْمَعُونَ كَلامَهُ كَيْفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ».

(٢) انظر "السنة" (١/ ١٩٣) لابن أبي عاصم، و"السنة" (١/ ١٦٥) لعبدالله بن أحمد، و"التوحيد" (٣١٠) لابن خزيمة، و"الشريعة" (٢/ ٥)، و"شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٣/ ٤٥٤)، و"شرح عقيدة السلف أصحاب الحديث" (٢٤٠) للشيخ ربيع حفظه الله.

(٣) انظر "الملل والنحل" (١/ ٤٠)، و"وسطية أهل السنة بين الفرق" (١/ ٣٢٩).

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، قال المعطلة: (إلىٰ) هنا ليست حرف جر؛ وإنما هو مفرد نعمة جمعها آلاء.

قبحهم الله! كيف يُسند النظر إلىٰ الوجوه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فأسند الرؤية إلىٰ الوجوه التي فيها العيون، التي ينظرون بها إلىٰ ربهم تبارك وتعالىٰ، والنظر قد يُعدَّىٰ بنفسه؛ فيكون بمعنىٰ الانتظار: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد:١٣]، يعني: انتظرونا، هم يقولون أيضًا من الانتظار أن النظر للانتظار فيكذِّبهم القرآن وتكذِّبهم اللغة، فلو كان النظر من الانتظار كان يُعدَّىٰ النظر بنفسه.

﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾، انظرونا بمعنىٰ ماذا؟ انتظرونا، أما هنا لَمَّا أراد الله أن يخبر عن هذه الحقيقة وهو: أن أولياءه ينظرون إليه بأبصارهم جاءت بلفظ: ﴿إِلَىٰ﴾ عدَّىٰ النظر بـ: ﴿إِلَىٰ﴾ التي تكون حقيقة في إثبات النظر والرؤية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، هذا من الأدلة علىٰ إثبات رؤية الله.

من القرآن: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، الحسنىٰ: الجنة، ما هي الزيادة؟. النظر إلىٰ وجه الله الكريم.

قاعدة: النظر إذا:

١) تعدَّىٰ بنفسه؛ كان معناه: الانتظار كقوله تعالىٰ: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣].

٢) وإذا عُدِّي بـ: (إلىٰ)؛ فمعناه: النظر بالأبصار.

كقوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وكقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾[الغاشية: ١٧ - ١٨].

٣) وإذا عُدِّي بـ: (في) كان معناه: التفكر والاعتبار.

كقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[الأعراف: ١٨٥].

الآية فُسِّرت، فسَّرها هذا الحديث، وفسَّرها المُفسِّرون للقرآن؛ بأن هذه الزيادة المراد بها النظر إلىٰ وجه الله الكريم.

وفي سورة المطففين يقول: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾[المطففين:٢٢-٢٤].

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ إلىٰ من؟. إلىٰ ربهم سبحانه وتعالىٰ.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾[المطففين:٢٢-٣٥].

فأثبت الله في هذه السورة أنهم ينظرون إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-، والدليل أنه نفىٰ الرؤية عن الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين:٧-٩]، إلىٰ أن قال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، وهذه الآية أنه يُحجب الكفار عن رؤية الله، دليل علىٰ أن الله يكافئ المؤمنين بأن يكرمهم بالنظر إلىٰ وجهه -جل وعلا- وإلا استوىٰ المؤمنون والكفار.

وهذه الأدلة أخذ منها الشافعي وغيره، من أن نفي الرؤية -رؤية الكفار- عن الله -عز وجل- وحجبِ اللهِ إيَّاهُم عن الرؤية فيها دليل علىٰ أن المؤمنين يكرمهم الله بالنظر إلىٰ وجهه الكريم.(١)

ومن السنة:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟**» قَالُوا: لَا يَا

(١) قال ابن كثير رحمه الله في "تفسيره" (١٤/ ٢٧٨): "قَالَ الإِمَامُ أَبُو عبدالله الشافعي: وفي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ -عَزَّ وَجَلَّ- يَوْمَئِذٍ.
وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رحمه الله فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَهُوَ اسْتِدْلَالٌ بِمَفْهُومِ هَذِهِ الْآيَةِ.
كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ منطوق قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢- ٢٣]، وَكَمَا دَلَّتْ عَلَىٰ ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصِّحَاحُ الْمُتَوَاتِرَةُ فِي رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ رُؤْيَةً بِالْأَبْصَارِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ وفي روضات الجنات الْفَاخِرَةِ".اهـ

رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا».[١]

فرسول الله ﷺ ضرب هذا المثل لتأكيد أنَّ المؤمنين يرون ربهم، تشبيه الرؤية بالرؤية، شبَّه رؤيتهم لربهم وأنها أمر محقَّق مؤكَّد ولا يحول بين رؤيتهم لربهم حائل برؤيتنا للشمس والقمر، فالشمس إذا كانت في كَبِدِ النهار ليس دونها سحاب لا يتمارون في رؤيتها ولا يزدحمون في النظر إليها، كذلك القمر إذا كان في ليلة البدر لا يزدحم الناس ولا يضامون في رؤيته، ولا يمارون في رؤيته، كذلك الله -سبحانه وتعالىٰ-، هذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي، فالله ليس كمثله شيء لا شمس ولا قمر ولا غيرهما.

وجاء في حديث رواه مسلم[٢] عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ» قَالَ: «يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ».

الأدلة كثيرة علىٰ إثبات رؤية الله، وساق ابن القيم[٣] حوالي ثلاثين حديثًا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (التفسير) (رقم:٤٥٨١)، ومسلم في كتاب (الإيمان) (رقم: ١٨٣).

(٢) في كتاب (الإيمان) (رقم:١٨١).

(٣) قال ابن القيم رحمه الله في "حادي الأرواح" (ص:٢٦٨): "وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة علىٰ الرؤية فمتواترة رواها عنه أبو بكر الصديق وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وجرير بن عبدالله البجلي وصهيب بن سنان الرومي وعبدالله بن مسعود الهذلي وعلي بن أبي طالب وأبو موسىٰ الأشعري وعَدي بن حاتم الطائي وأنس بن مالك الأنصاري وبريدة بن الحصيب الأسلمي=

فيها الصحيح وفيها الحسن وفيها الضعيف، كلها فيها إثبات رؤية الله - تبارك وتعالىٰ- عن أبي بكر، وعن علي، وعن أبي هريرة، وعن صهيب، وعن أبي سعيد، وعن غيرهم ﷺ، أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة سبحانه وتعالىٰ.

أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل جنات النعيم وأن يكرمنا بالنظر إلىٰ وجهه الكريم.

= وأبو رزين العقيلي وجابر بن عبدالله الأنصاري وأبو أمامة الباهلي وزيد بن ثابت وعمار بن ياسر وعائشة أم المؤمنين وعبدالله بن عمر وعمارة بن رويبة وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمرو بن العاص -وحديثه موقوف- وأُبي بن كعب وكعب بن عجرة وفضالة بن عبيد -وحديثه موقوف- ورجل من أصحاب النبي ﷺ غير مسمىٰ، فهاك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد والسنن وتَلَقَّها بالقبول والتسليم وانشراح الصدر لا بالتحريف والتبديل وضيق العطن ولا تُكذب بها فمن كَذَّب بها لم يكن إلىٰ وجه ربه من الناظرين، وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين".اهـ ثم ساقها رحمه الله.

ولشيخنا ربيع -حفظه الله- رسالة بعنوان: "البيان والإيضاح لعقيدة أهل السنة والجماعة في رؤية الله يوم القيامة من كتاب حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية" طبعت بدار الميراث النبوي.

(٨) وَالجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، وَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ لا تَفْنَيَانِ أَبَدًا، فَالجَنَّةُ ثَوَابُ لأَوْلِيَائِهِ، وَالنَّارُ عِقَابٌ لأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ إلا مَنْ رَحِمَ.

الشرح

(الجَنَّةُ حَقٌّ) بَشَّرَ بها جميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، (وَالنَّارُ حَقٌّ) حذَّر منها جميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، والقرآن مليءٌ بالحديث عن الجنة، وعن النار، وعن مصير المؤمنين وأنه الجنة، وعن مصير الكافرين وأنه النار.

وتوعَّد الله العصاة بالنار، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠].

والجنة والنار مخلوقتان موجودتان يؤمن بذلك أهل السنة.

وأهل البدع في الجملة يؤمنون بأن الجنة والنار موجودتان، لا ينكرون ذلك، لكن المعتزلة والخوارج والجهمية أو المعتزلة خاصة يرون أنهما غير موجودتين الآن[١]، وهذا مبني على أصلهم الخبيث أنه يجب على الله أن يفعل كذا ويجب عليه أن يفعل كذا، ولا يجوز له أن يعمل كذا، ولا يجوز له أن يعمل كذا.

(١) انظر "الملل والنحل" (١/ ٦٨)، و"شرح الطحاوية" (٢/ ٦١٤)، و"معارج القبول" (٣/ ١٠٤٦)، و"وسطية أهل السنة بين الفرق" (١/ ٢٩٦).

فيرون أن وجودهما الآن من العبث؛ لأنه ما يدخلها الناس إلا بعد البعث، فهما علىٰ زعمهم الباطل غير موجودتين!.

والقرآن يتحدث والسنة تتحدث أنهما موجودتان، آيات كثيرة وأحاديث كثيرة كلها تدل علىٰ أن النار والجنة موجودتان الآن.(١)

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ﴾[آل عمران:١٣٣]، أعدَّها الله ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[آل عمران:١٣٣-١٣٤]، فأمر الله سبحانه وتعالىٰ عباده بالمُسارعة إلىٰ هذه الجنة التي وصفها بأن عرضها عرض السموات والأرض، وأنها أُعدَّت أعدَّها الله -سبحانه وتعالىٰ- وأوجدها للمتقين.

ثم وصف المتقين بهذه الصفات التي ذُكرت في هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[آل عمران:١٣٤]، أخلاق عجيبة، وأعمال عجيبة مرضية يستحقون بها دخول الجنة التي أعدها الله تبارك وتعالىٰ.

وقال عن النار في الآية التي قبل هذه من آل عمران: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ

---

(١) انظر "الشريعة" (٢/ ٢١٤)، و"شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٦/ ١١٨٤)، و"الحجة في بيان المحجة" (١/ ٤٧١)، و"معارج القبول" (٣/ ١٠٣٧)، و"شرح أصول السنة" (١٠٦)، و"شرح عقيدة السلف أصحاب الحديث" (٢٤٨) للشيخ ربيع حفظه الله.

أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣١-١٣٢]، فالنار أعدَّت للكافرين، وأمر المؤمنين أن يتقوها -والعياذ بالله-، نسأل الله أن يُعيذنا منها، وأن يجعلنا من الأتقياء الذين يجنبهم الله -تبارك وتعالىٰ- وينجيهم الله منها.

وقال تعالىٰ في سورة الحديد: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨] إلىٰ آخر الآية.

آيات فيها إعداد الله الجنة للمؤمنين، والنار للكافرين، فهما موجودتان ورغم صراحة نصوص القرآن والسنة بوجودهما ترىٰ أهل الضلال ينكرون وجودهما الآن، وأنه علىٰ تشريعهم وعقولهم الفاسدة: وجودها الآن من العبث!.

والله -تبارك وتعالىٰ- قال عن قوم فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[غافر:٤٦]، الآية تنص علىٰ هلاك فرعون وأنه وقومه يعرضون علىٰ النار غدوًا وعشيًا، فهذا النص يدل علىٰ وجود النار.

وقال عن قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [نوح: ٢٥] الفاء

للتعقيب والترتيب، أي: إن دخولهم النار كان عقيب إهلاكهم.

هذه من الآيات الكثيرة، التي تدل علىٰ أن الجنة والنار موجودتان.

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما: «**إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ**»(١).

والرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- يقول: «**اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَىٰ رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَجَعَلَ لَهَا نَفَسَيْنِ: نَفَسٌ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٌ فِي الصَّيْفِ، فَشِدَّةُ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْبَرْدِ مِنْ زَمْهَرِيرِهَا، وَشِدَّةُ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ مِنْ سَمُومِهَا**»(٢) وهذه الأحاديث في الصحيحين.

ومع كل فأهل الضلال ينكرون وجودهما، وأن وجودهما الآن عبث، والله يجب عليه أن لا يخالف منهجهم -قبحهم الله-، فهم مُشبِّهة في الأفعال، مُعطِّلة في الأسماء والصفات، عَطَّلوا صفات الله -عز وجل-؛حذرًا من الوقوع في التشبيه كما يزعمون، ثم شبهوا الله بالمخلوقين فيقولون: عليه أن يفعل كذا وعليه أن يفعل كذا، فشبهوه في الأفعال.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (بدء الخلق) (رقم:٣٢٤٠)، ومسلم في كتاب (الجنة وصفة نعيمها وأهلها) (رقم: ٢٨٦٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب (بدء الخلق) (رقم:٣٢٦٠)، ومسلم في كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) (رقم:٦١٧)، والترمذي في كتاب (صفة جهنم) (رقم: ٢٥٩٢)، وابن ماجه -واللفظ له- في كتاب (الزهد) (رقم: ٤٣١٩).

قوله: (فالْجَنَّةُ ثَوَابٌ لِأَوْلِيَائِهِ).

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النبأ: ٣١-٣٧] إلىٰ آخر الآيات، آيات كثيرة جدًا تَعِدُ المتقين والعاملين للصالحات بالجنة ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ١٣٣].

قوله: (وَالنَّارُ عِقَابٌ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ).

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم: ٦].

وقال تعالىٰ في سورة [البقرة] لمن يُكذِّب بالقرآن: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا

وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٥].

وأهل معصيته: يَدخل فيهم دخولًا أوليًا الكفار، وأهل المعاصي -أهل الكبائر- تحت مشيئته -سبحانه وتعالىٰ- من شاء عفا عنه، ومن شاء عذَّبه؛ فيصدق عليه الوعيد في النار، حتىٰ قال هنا: (إِلا مَنْ رَحِمَ).

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل جنات النعيم، وأن يعيذنا وإياكم من نار الجحيم.

٩ وَالصِّرَاطُ حَقٌّ.

الشرح

(وَالصِّرَاطُ حَقٌّ).

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١-٧٢]، فهـذه الآيـة فـي الصراط والعبور علىٰ النار، وَوُرُوْدِهَا في حق الكفار أنهم يدخلونها ويُخلَّدون فيها.

والمؤمنون يُنصب لهم الصراط؛ وهو جسر ينصب علىٰ جهنم فيمرُّون عليه علىٰ قدر إيمانهم وأعمالهم، فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل والركاب، ومنهم من يحبو حبوا، وعلىٰ جنبي الصراط كلاليب تخطف العصاة بأعمالهم[1] -والعياذ بالله-، الكفار يدخلون جهنم دون أن يمروا علىٰ الصراط.

---

(١) أخرج البخاري في كتاب (التوحيد) (رقم: ٧٤٣٩)، ومسلم - واللفظ له - في كتاب (الإيمان) (رقم: ١٨٣) حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، وفيه: «ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: «دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ».

والصراط ورد فيه أحاديث[(١)]، من حديث أبي هريرة، ومن حديث أبي سعيد، ومن حديث غيرهما رضي الله عنهم، وأكثر الأحاديث في الصحيحين تتحدث عن الصراط وعن مرور المؤمنين عليه، واختلافهم في المرور عليه في السرعة والبطء.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من النَّاجين، هذا ويُعطي اللهُ المؤمنين عند مرورهم علىٰ الصراط نورًا علىٰ قدر إيمانهم وأعمالهم ويستمر هذا النور.

وأما المنافقون فهم يدخلون الصراط ومعهم نور حتىٰ إذا توسَّطوا الصراط أطفأ الله نور المنافقين.[(٢)]

قال الله -سبحانه وتعالىٰ- في سورة الحديد: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٢-١٣].

فهذا النور الذي يُؤتاه المؤمنون هو النور الذي يُعْطَوْهُ عند عُبورهم الصراط، منهم من نوره مثل الجبل كما في بعض الأحاديث، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره كمثل الرجل القائم، ومنهم من نوره علىٰ إبهامَيه

---

(١) انظر "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٦/ ٤٩٧)، و"معارج القبول" (٣/ ١٠٢٦).
(٢) انظر "تفسير ابن كثير" (١٣: ٤١٨-٤١٩).

يُضيء تارة ويُطفأ أخرىٰ علىٰ قدر عمله(١)، فنعوذ بالله من التقصير والعجز والكسل الذي هو مآل أهله مع الأسف الشديد.

وفي سورة التحريم قال الله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٦-٨].

فهذه الآيات كلها تدور حول الصراط وحول مرور المؤمنين علىٰ الصراط وما يعطيهم الله -تبارك وتعالىٰ- من النُّور، وكيف يعامل الله -سبحانه وتعالىٰ- المنافقين.

المنافقون كانوا يستهزئون بالمؤمنين، بل كانوا يستهزئون بالله -تبارك وتعالىٰ-، فالله يَمْكُرُ بهم -سبحانه وتعالىٰ- علىٰ قدر أعمالهم، كان عندهم

(١) قال ابن جرير رحمه الله في "تفسيره" (١١/ ٦٧٦، رقم: ٣٣٦١٦): "حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّىٰ قَالَ: ثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَذْكُرُ، عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ قَيْسِ بْنِ سَكَنٍ، عَنْ عَبْدِاللَّهِ قَالَ: «يُؤْتَوْنَ نُورَهُمْ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْتَىٰ نُورَهُ كَالنَّخْلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْتَىٰ نُورَهُ كَالرَّجُلِ الْقَائِمِ، وَأَدْنَاهُمْ نُورًا عَلَىٰ إِبْهَامِهِ يُطْفَأُ مَرَّةً وَيَقِدُ مَرَّةً»".

مَكْر فالله مَكَرَ بهم -سبحانه وتعالىٰ-، شجعهم وأعطاهم النور ومشوا مع المسلمين ما شاء الله، ثم أطفأ عليهم النور وكان مصيرهم النار وبئس القرار: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[النساء: ١٤٥]، هذا ما جاءت به الآيات والأحاديث حول الصراط.(١)

(١) انظر "شرح عقيدة السلف أصحاب الحديث" (٢٠٧) للشيخ ربيع حفظه الله.

١٠ وَالْمِيزَانُ الَّـذِي لَـهُ كِفَّتَانِ يُوزَنُ فِيـهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا حَقٌّ.

الشرح

(وَالْمِيزَانُ الَّذِي لَهُ كِفَّتَانِ، يُوزَنُ فِيهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا حَقٌّ).

يعني: والميزان حق يقصد بعد الصراط يأتي الميزان ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[الأعراف:٨-٩]، ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾؛ العدل والقسط، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ نسأل الله أن يجعلنا منهم، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾؛ بسبب ظلمهم وخبثهم خَفَّتْ موازينهم، فأُدخلوا النار وبئس القرار.

وقال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، الله أكبر.

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦] سبحانه وتعالىٰ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠]، سبحانه وتعالىٰ.

«يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا»[١]، اللهُ الذي خلق السموات والأرض، والدنيا والآخرة والجنة والنار هُمْ خَلْقُه وهُمْ عَبيده -سبحانه وتعالىٰ- وهو لا يظلمهم مثقال ذرة، ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، سبحانه وتعالىٰ.

اللهُ سبحانه وتعالىٰ عَدْلٌ، وفَرَضَ العَدْلَ في هذه الدنيا علىٰ العباد، وكم ينحرف الناس عن هذا المنهج! وعن هذه الدعوة الحاضَّة علىٰ العدل!.

وبَعَثَ النَّبيِّين بالعدل، وأنزل معهم الكتب ليحكموا بين الناس بالقسط، ومع ذلك حتىٰ المسلمون أو كثير منهم يتجاهلون هذا العدل، فالعدل في القرآن والعدل في السنة، العدل في أحكام الله -تبارك وتعالىٰ- في كل الأمور؛ حتىٰ فيما بين المسلمين والكفار، وبين الصالحين والفجار لا بُد من العدل.

لو ظلمتَ كافرًا بغير حق؛ يأخذ الله منك هذا الحق، لو نَطَحَتْ شاةٌ قرناء شاةً جَمَّاء؛ يقتص الله منها يوم القيامة[٢] -سبحانه وتعالىٰ-، وهو لا يَظلم فتيلًا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: (البر والصلة والآداب) (رقم: ٢٥٧٧).

(٢) قال الإمام مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب (رقم٢٥٨٢) حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ أَيُّوبَ، وَقُتَيْبَةُ، وَابْنُ حُجْرٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ =

ولا يَظلم نقيرًا ولا يَظلم مثقال ذرة ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨].

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١-١٠٤].

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾، الصوفية كثير منهم يقول: إنهم أبناء الرسول ﷺ، وأنهم يدخلون الجنة، أبو طالب عم رسول الله ﷺ كان يُنافح عن رسول الله ومع ذلك أدخله الله النار، زوجة نوح وزوجة لوط قال الله في شأنهما: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾، وأبو إبراهيم عليه السلام يدخل النار، يقول إبراهيم عليه السلام: «**يا الله وعدتني أنك لا تخزيني**»؛ فيقال: «**انظر**»، «**فينظر؛ فإذا بأبيه قد تحول إلىٰ ذيخ ملطخ**»، -يعني: ضبع ملطخ- «**ثم يؤخذ بقوائمه فيرمىٰ في النار**»(1)، ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾

= ﷺ، قال: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّىٰ يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**».

(١) قال الإمام البخاري في كتاب (أحاديث الأنبياء) (رقم: ٣٣٥٠): حدثنا إسماعيل بن عبدالله، قال: أخبرني أخي عبد الحميد، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي =

[فصلت:٤٦]، فالأنساب لا تُغني شيئًا.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾، عملك هو محور النجاة بعد رحمة الله -سبحانه وتعالىٰ- وفضله، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، الناجون الفائزون، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الزمر: ١٥].

الله أكبر! هذا والله الخسران العظيم، أموال وملك ودول وصواريخ وطائرات وقاذفات عابرات القارات... وإلىٰ آخره، وفي النهاية لا تُغني عنه شيئًا، إذا دخل النار قال: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة: ٢٨-٣٧].

قال: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾، ثم هذه الحسرات التي تلاحقه والعقاب الأليم الذي يحيق به، ولا يغني عنه ما كان معه من مال أو

= ﷺ، قال: «يَلْقَىٰ إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَىٰ وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَىٰ مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَىٰ الكَافِرِينَ»، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَىٰ فِي النَّارِ».

ملك وإلىٰ آخره، فالعمل: العمل الصالح، ونسأل الله أن يثبتنا علىٰ الإيمان، وأن يوفقنا للأعمال الصالحة و أن يجعلنا من الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب إنه سميع الدعاء.

سبعون ألفًا من هذه الأمة ومع كل ألف سبعون ألف كما في بعض الأحاديث(١) يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

السبعون ألفًا هؤلاء: «**هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»، يعني: الرسول ﷺ حدَّث أصحابه أنه يدخل من هذه الأمة سبعون ألفًا من غير حساب ولا عذاب، ودخل -عليه الصلاة والسلام منزله- فخاضوا فقال بعضهم: هم أصحاب محمد، قال ناس: فلعهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله وذكروا أشياء، قالوا: كذا..، كل واحد يفسر بحسب ما يفهم، فخرج الرسول ﷺ وهُم في الحوار هذا؛ فسألهم قالوا: حدثنا بهذا الحديث أرادوا أن يبين لهم معناه، فقال ﷺ: «**هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»(٢)، التوكل، ومع أن الرقية جائزة؛ لكن يتركونها رجاء هذا الثواب، الرقية ليست محرمة،

---

(١) **صحيح**، أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٠)، والترمذي -واللفظ له- في كتاب (صفة القيامة) (رقم: ٢٤٣٧)، وابن ماجه في كتاب (الزهد) (رقم: ٤٢٨٦) عن أبي أمامة رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِهِ**». وانظر: "الصحيحة" (٥/ ٢١١، رقم: ٢١٧٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب (الطب) (رقم: ٥٧٠٥)، ومسلم في كتاب (الإيمان) (رقم: ٢٢٠).

الرقية الشرعية لها شروطها فهم لا يَسْتَرْقُون، الطِّيَرَةُ من الشرك. لا يتطيرون والحمد لله، لماذا؟؛ لأن عندهم توكل علىٰ الله -سبحانه وتعالىٰ-، ولا يَكْتَوُوْنَ؛ الاكتواء عند الحاجة جائز لكن يتركونه رجاء هذا الثواب، فيجازيهم الله -تبارك وتعالىٰ- يوم القيامة أنهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، نسأل الله -جل وعلا- أن يجعلنا منهم.

والميزان له كفتان، كما ورد في الحديث رجل يأتي يوم القيامة وله ذنوب ملأت سجلات، كل سجل مد البصر، تسعة وتسعون سجلا كلها مليئة بالآثام والأخطاء فيقول الله -تبارك وتعالىٰ-: **«هل تنكر شيئًا من هذا؟، فيقول: لا يا رب، فيقول: هل لك عذر؟، فيقول: لا يا رب، فيقول: هل لك حسنة؟، فيسكت، فيقول الله: بلىٰ لك عندنا حسنة، فتخرج له بطاقة فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، قال: أنىٰ تصنع هذه البطاقة مع هذه السجلات؟، قال: إنك لا تظلم، فتوضع البطاقة في كفة وتوضع السجلات في الكفة الأخرىٰ، فترجح لا إله إلا الله»** (١).

---

(١) **صحيح**، أخرجه أحمد - واللفظ له- (٢/ ٢١٣)، والترمذي في كتاب (الإيمان) (٢٦٣٩)، وابن ماجه في كتاب (الزهد) (رقم:٤٣٠٠) عن عَبْدَاللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَىٰ، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.**

=

كفة لا إله إلا الله ترجح، وتطيش كفة السجلات ؛لأنه لا يثقل مع اسم الله شيء، لو وُضِعَت السماوات السبع ومن فيهن غير الله -تبارك وتعالىٰ-، والأرضون السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله، هذه لمن يقولها مخلصًا لله -تبارك وتعالىٰ-.

وقد يأتي إنسان بذنوب دون هذا بكثير فيشاء الله أن يدخله النار -سبحانه وتعالىٰ- هذا لبيان رحمته -سبحانه وتعالىٰ- وأنه يفعل ما يشاء، وأنه لا يُسأل عمَّا يفعل، وإذا أدخلك النار بذنبك فليس لك أن تقول: كيف غفرت لهذا وعنده تسعة وتسعون سجلًا تملأ الفضاء، وأنا ما عندي أعمال سيئة إلا قليلة، لا تَسأل الله -عز وجل- ذلك، -سبحانه وتعالىٰ- له الحكمة البالغة ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

فكثير من الناس عندهم دون هذه الخطايا وعندهم أعمال صالحة لكن توزن أعمالهم فإن رجحت أعمالهم الصالحة دخلوا الجنة، وإن رجحت كفة سيئاتهم يكونون تحت مشيئة الله؛ إن شاء عفا عنهم وإن شاء أدخلهم النار -سبحانه وتعالىٰ- بقدر ذنوبهم، وإن تعادلت الكفتان فهم أصحاب الأعراف يكونون بين الجنة والنار، تارة يلتفتون إلىٰ أهل الجنة فينادونهم،

= فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ»، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ»، قَالَ: «فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». وانظر: "الصحيحة" (١/ ٢١٦، رقم: ١٣٥)، ويسمىٰ هذا الحديث بحديث البطاقة.

وتارة يلتفتون إلىٰ النار فينادونهم ويعرفون بسيماهم إلىٰ أن يشاء الله -سبحانه وتعالىٰ- دخولهم الجنة ويدخلهم سبحانه وتعالىٰ.(١)

---

(١) قال الشيخ العلامة حافظ الحكمي رحمه الله في «معارج القبول» (٣/ ١١٩٥): "إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي أَثْبَتَتْهُ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ وَالسُّنَنُ النَّبَوِيَّةُ وَدَرَجَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ وَالصَّدْرُ الْأَوَّلُ مِنَ الصَّحَابَةِ والتابعين لهم لإحسان مِنْ أَئِمَّةِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ أَنَّ الْعُصَاةَ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ عَلَىٰ ثَلَاثِ طَبَقَاتٍ:

الطَّبَقَةُ الأولى: قَوْمٌ رُجِّحَتْ حَسَنَاتُهُمْ بِسَيِّئَاتِهِمْ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَلَا تَمَسُّهُمُ النَّارُ أَبَدًا.

الطَّبَقَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْمٌ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ وَتَكَافَأَتْ فَقَصَّرَتْ بِهِمْ سَيِّئَاتِهِمْ عَنِ الْجَنَّةِ وَتَجَاوَزَتْ بِهِمْ حَسَنَاتُهُمْ عَنِ النَّارِ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ؛ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ -تَعَالَىٰ- أَنَّهُمْ يُوقَفُونَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُوقَفُوا، ثُمَّ يُؤْذَنُ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، كَمَا قَالَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بَعْدَ أَنْ دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٤-٤٩].

الطَّبَقَةُ الثَّالِثَةُ: قَوْمٌ لَقُوا اللَّهَ تَعَالَىٰ مُصِرِّينَ عَلَىٰ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ، وَمَعَهُمْ أَصْلُ التَّوْحِيدِ، فَرُجِّحَتْ سَيِّئَاتُهُمْ بِحَسَنَاتِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَىٰ أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَىٰ حِقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ فَوْقَ ذَلِكَ، حَتَّىٰ إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُحَرَّمْ مِنْهُ عَلَىٰ النَّارِ إِلَّا أَثَرُ السُّجُودِ؛ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَأْذَنُ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِالشَّفَاعَةِ فِيهِمْ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَلِغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُكْرِمَهُ، فَيَحِدُّ لَهُمْ حَدًّا=

وهنا من عدل الله -سبحانه وتعالىٰ- أن المؤمنين إذا اجتازوا الصراط يوقفهم الله علىٰ قنطرة[(١)] بين الجنة والنار؛ لإقامة العدل فيهم والاقتصاص للمظلومين من الظالمين، فيقتص للمظلوم من الظالم وإن كان الظالم من أهل الجنة يقتص منه؛ لأن حقوق العباد لا تسقط بأي حال من الأحوال حتىٰ يقتص لهذا المؤمن من الظالم الكافر إذا ظلمه بغير حق، والعكس، هذا من عدل الله سبحانه وتعالىٰ.

هذه قنطرة، يعني: يطهر الله -سبحانه وتعالىٰ- المؤمنين بهذا القصاص، فمن كان عنده مظلمة اقتص منه، ومن ليس عنده مظلمة الحمد لله وهو من أهل السعادة.

= فَيُخْرِجُونَهُمْ، ثُمَّ يَحِدُّ لَهُمْ حَدًّا فَيُخْرِجُونَهُمْ، ثُمَّ هَكَذَا فَيُخْرِجُونَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ ثُمَّ مِنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ نِصْفُ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ، ثُمَّ بُرَّةٌ، ثُمَّ خَرْدَلَةٌ، ثُمَّ ذَرَّةٌ، ثُمَّ أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ أَنْ يَقُولَ الشُّفَعَاءُ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا. وَيُخْرِجُ اللَّهُ تَعَالَىٰ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا لَا يَعْلَمُ عِدَّتَهُمْ إِلَّا هُوَ بِدُونِ شَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ، وَلَمْ يُخَلَّدْ فِي النَّارِ أَحَدٌ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ؛ وَلَوْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ: وَلَكِنْ كُلُّ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ أَعْظَمَ إِيمَانًا وَأَخَفَّ ذَنْبًا كَانَ أَخَفَّ عَذَابًا فِي النَّارِ وَأَقَلَّ مُكْثًا فِيهَا وَأَسْرَعَ خُرُوجًا مِنْهَا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ أَضْعَفَ إِيمَانًا وَأَعْظَمَ ذَنْبًا كَانَ بِضِدِّ ذَلِكَ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ لَا تُحْصَىٰ كَثْرَةً، وَقَدْ قَدَّمْنَا مِنْهَا مَا فِيهِ كِفَايَةٌ. وَإِلَىٰ هَذَا الْمَعْنَىٰ أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ نَفَعَتْهُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ يُصِيبُهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ**» وَهَذَا مَقَامٌ ضَلَّتْ فِيهِ الْأَفْهَامُ، وَزَلَّتْ فِيهِ الْأَقْدَامُ، وَهَدَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ".

(١) قال البخاري في كتاب (المظالم) (رقم: ٢٤٤٠): حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن أبي المتوكل الناجي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتىٰ إذا نقوا وهذبوا، أذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا**».

قوله: (حَقٌّ).

يعني: خبر المبتدأ، والميزان حق له كفتان وكذا، هذه الصفات له.(١)

الميزان ينكره المعتزلة(٢)، الميزان ذو الكفتين كما ورد في الأحاديث، وكما جاء في حديث: «**يؤتىٰ بالرجل الضخم العظيم يوم القيامة فلا يزن عند الله مثقال ذرة**»(٣)، وابن مسعود رضي الله عنه يومًا رقي شجرة ليجتني منها سواكًا فتعجب الناس من دِقَّة ساقيه، فقال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُد**»(٤).

فهؤلاء ينكرون كيف توزن الأعراض، وينكرون وزن الأشخاص أيضًا، الميزان توزن فيه الأعمال، توزن فيه الصفحات، ويوزن فيه العاملون، وتوزن فيه صحائف الأعمال، كلها توزن كما في هذه الأحاديث.

حديث السجلات ذكر فيه أنها توزن السجلات، والأعمال فيها السيئات هي الأعمال توزن معها.

---

(١) انظر "الشريعة" (٢/ ٢٠٦)، و"شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٦/ ٤٨٩)، و"شرح أصول السنة" (٤١) للشيخ ربيع حفظه الله.

(٢) انظر "مقالات الإسلاميين" (ص: ٤٧٢).

(٣) أخرج البخاري في كتاب (التفسير) (رقم: ٤٧٢٩)، ومسلم في كتاب: (صفة القيامة والجنة والنار) (رقم: ٢٧٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾**» [الكهف: ١٠٥].

(٤) **صحيح**، أخرجه أحمد (١/ ٤٢٠-٤٢١)، وانظر: "الصحيحة" (٦/ ٥٧٠، رقم: ٢٧٥٠).

حديث ابن مسعود ﷺ وحديث: «**يُؤْتَىٰ بالرَّجُلِ العَظِيمُ فَلَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»(١)، وقال: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]، يدلان علىٰ أن الأشخاص يوزنون، والأعمال توزن، والصحائف توزن وكل ذلك دلت عليه الأحاديث.(٢)

وهذه كلها حجج تدحض أباطيل المعتزلة والخوارج الذين يُنكرون الوزن، وزن الميزان ذي الكفتين، الميزان له كفتان كما ورد في الأحاديث(٣) التي أسلفنا شيئًا منها.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) قال الشيخ العلامة حافظ الحكمي رحمه الله في "معارج القبول" (٣/ ١٠٢٥): "وَالَّذِي اسْتُظْهِرَ مِنَ النُّصُوصِ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- أَنَّ الْعَامِلَ وَعَمَلَهُ وَصَحِيفَةَ عَمَلِهِ كُلُّ ذَلِكَ يُوزَنُ لِأَنَّ الْأَحَادِيثَ الَّتِي فِي بَيَانِ الْقُرْآنِ قَدْ وَرَدَتْ بِكُلٍّ مِنْ ذَلِكَ وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَهَا".

(٣) قال ابن أبي العز في "شرح العقيدة الطحاوية" (٢/ ٦٠٩): "وَالَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ: أَنَّ مِيزَانَ الْأَعْمَالِ لَهُ كِفَّتَانِ حِسِّيَّتَانِ مُشَاهَدَتَانِ". اهـ.

ثم ساق رحمه الله ما يدل علىٰ ذلك.

١١ وَقَالا: وَالْحَوْضُ الْمُكْرَمُ بِهِ نَبِيُّنَا حَقٌّ.

الشرح

(وَالْحَوْضُ الْمُكْرَمُ بِهِ نَبِيُّنَا حَقٌّ).

هناك حوض للنبي -عليه الصلاة والسلام- له صفات عظيمة يَصُبُّ فيه ميزابان من الجنة، وحافتاه من الدُّر ومن الذهب وغير ذلك من الصفات.(١)

والله -سبحانه وتعالىٰ- يوقف عليه هذا الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام-، ومن كان من المؤمنين يشرب شربة لا يظمأ بعدها أبدًا، ومن غيَّر وبدَّل فإنه يُذَادُ عن هذا الحوض.

فالذين ارْتَدُّوا من الأعراب بعدما مات الرسول -عليه الصلاة والسلام- يُذادون عن الحوض، فيقول: «**يا رَبِّ، أُمَّتي أُمَّتي فَيُقالُ لَهُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، إِنَّهم غَيَّرُوا بَعْدَكَ**»، فيقول -عليه الصلاة

---

(١) أخرج مسلم في كتاب (الفضائل) (رقم: ٢٣٠١) من حديث ثَوْبَانَ ﵁ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّىٰ يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ**»، فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ فَقَالَ: «**مِنْ مَقَامِي إِلَىٰ عَمَّانَ**» وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «**أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ**».

وعند ابن حبان (١٤/ ٣٦٧، رقم: ٦٤٥٥): «**يَنْبَعِثُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِدَادُهُمَا الْجَنَّةُ أحدهما دُرٌّ والآخر ذهب**».

ثم قال ﵀ (١٤/ ٣٧١): "فِي هَذَا الْخَبَرِ «**مَثْعَبَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ**»، وَفِي خَبَرِ ثَوْبَانَ الَّذِي ذَكَرْنَا: «**مِيزَابَانِ أَحَدُهُمَا دُرٌّ وَالْآخَرُ ذَهَبٌ**» وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا تَضَادٌّ لِأَنَّ أَحَدَ الْمَثْعَبَيْنِ يَكُونُ مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ فِضَّةٍ قَدْ رُكِّبَ عَلَيْهِ الدُّرُّ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ بينهما تضاد".

والسلام-: «سُحْقًا سُحْقًا».(١)

وبعض العلماء يُدخِل فيهم أهل البدع؛ لأنهم بدّلوا وغيّروا «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»(٢)، «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(٣) والرسول -عليه الصلاة والسلام- قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ أُمَّتِي مَا أَتَىٰ عَلَىٰ بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَىٰ أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: «وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»(٤)، الله أكبر!.

فإياكم والتغيير والتبديل واحذروا البدع صغيرها وكبيرها، فإن صغار البدع تتحول إلىٰ كبار، تبدأ لمة ثم تنمو وتنمو، والفتنة تعرض علىٰ القلوب

---

(١) أخرج البخاري في كتاب (الرقاق) (رقم: ٦٥٨٣ و٦٥٨٤)، ومسلم في كتاب (الفضائل) (رقم: ٢٢٩٠ و٢٢٩١) عن سهل بن سعد ﵁، يقول: سمعت النبي ﷺ، يقول: «**أنا فرطكم على الحوض، فمن ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبدا، ليرد علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم**» قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش -وأنا أحدثهم هذا-، فقال: هكذا سمعت سهلًا، فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد علىٰ أبي سعيد الخدري، لسمعته يزيد فيه قال: «**إِنَّهُمْ مِنِّيْ، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِيْ مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُوْلُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِيْ**».

(٢) أخرجه البخاري في كتاب (الصلح) (رقم:٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب (الأقضية) (١٧١٨).

(٣) علقه البخاري في كتاب (الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: إذا اجتهد العامل أو الحاكم، فأخطأ خلاف الرسول من غير علم، فحكمه مردود لقول النبي ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»)، ومسلم في كتاب: (الأقضية) (١٧١٨).

(٤) **حسن**، أخرجه الترمذي في كتاب (الإيمان) (رقم:٢٦٤١)، وانظر: "الصحيحة" (١/ ٤٠٧)، (رقم: ٢٠٤).

كعرض الحصير عودًا عودًا فأيُّما قلب أُشربها نكتت فيها نكتة سوداء، وأيُّما قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتىٰ تصير علىٰ قلبين: قلب أبيض كالصَّفا لا تضره فتنة إلىٰ يوم القيامة، وقلب -هو الذي أشرب الفتن-، أسود مربادًّا كالكوز مُجخِّيًا، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا.(١)

الله أكبر! الله أكبر!، لا يَعرف معروفًا ولا يُنكر مُنكرًا إلا ما أُشرب من هواه.

ووالله، والله إن أُناسًا يلبسون لباس السلفية وهم لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا فضلًا عن أهل البدع، هذا موجود، وهؤلاء والله أشد علىٰ السلفية وأضر بها من أهل البدع الواضحة، وكثير من المخالفين، يلبس لباس السلفية، ويغرر بالناس، ويرد الحق، وينصر الباطل، هذا موجود، جماعة الكوثري يقولون: أنهم سلفيون!، وكثير من الصوفية يدّعون السلفية، وكِفتارو كان مفتي الباطنية يدعي أنه علىٰ السلفية، وكثير كثير ممن تعرفونهم يدعون السلفية والسلفية منهم براء.

---

(١) أخرج مسلم في كتاب: (الإيمان) (رقم: ١٤٤): بسنده عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ، فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلْ، قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ. قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّىٰ تَصِيرَ عَلَىٰ قَلْبَيْنِ، عَلَىٰ أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**».

فعلينا أن نجتنب البدع والضلالات، وأن نعتصم بحبل الله جميعًا كما أمرنا الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والحوض يُذاد عنه أناس يُنكرون الحوض أيضًا، من أهل البدع من ينكر الحوض.(١)

فهؤلاء ممن يُذاد عنه، وأهل البدع والمُرتدُّون كلهم يُذادون عن الحوض، ويَشرب منه المؤمنون. من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا.

الحوض فيه أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر، أحاديث كثيرة جدًّا.(٢)

---

(١) انظر "مقالات الإسلاميين" (٤٧٣).

(٢) انظر "السنة" (ص: ٣٠٧، رقم: ٦٩٧، وما بعده) لابن أبي عاصم، و"الشريعة" (٣/ ١٧١)، و"شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٦/ ٤٢٢)، و"شرح أصول السنة" (ص:٤٥)، و"شرح عقيدة السلف أصحاب الحديث" (ص: ٢٢٧) للشيخ ربيع حفظه الله.

قال الشيخ العلامة حافظ الحكمي رحمه الله في "معارج القبول" (٣/ ١٠٤٨): "وَقَدْ وَرَدَ فِي ذِكْرِ الْحَوْضِ وَتَفْسِيرِ الْكَوْثَرِ بِهِ وَإِثْبَاتِهِ وَصِفَتِهِ مِنْ طُرُقِ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَاشْتَهَرَ، وَاسْتَفَاضَ بَلْ تَوَاتَرَ فِي كُتُبِ السُّنَّةِ مِنَ الصِّحَاحِ وَالْحِسَانِ وَالْمَسَانِيدِ وَالسُّنَنِ فَمِمَّنْ رَوَى ذَلِكَ عَنْهُ مِنَ الصَّحَابَةِ: أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَعَبْدُاللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَحَارِثَةُ بْنُ وَهْبٍ وَجُنْدُبُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ وَعَائِشَةُ وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ وَعَبْدُاللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَعَبْدُاللَّهِ بْنُ عَمْرٍو وَابْنُ عَبَّاسٍ وَأَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ وَثَوْبَانُ وَأَبُو ذَرٍّ وَأُمُّ سَلَمَةَ وَجَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ وَسَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ وَحُذَيْفَةُ وَأَبُو بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيُّ وَالْمُسْتَوْرِدُ بْنُ شَدَّادٍ وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ وَعَبْدُاللَّهِ بْنُ زَيْدٍ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ». ثم ذكر الروايات".

ثم قال رحمه الله: "وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهَا مَا تَيَسَّرَ، وَفِي الْبَابِ عِدَّةُ أَحَادِيثَ غَيْرَ مَا ذَكَرْنَا، وَلِمَنْ ذَكَرْنَا مِنَ الصَّحَابَةِ أَحَادِيثُ أُخَرُ لَمْ نَذْكُرْهَا، وَلَهُمْ رِوَايَاتٌ فِي الْأُصُولِ الَّتِي عَزَوْنَا إِلَيْهَا غَيْرَ مَا سُقْنَا، وَإِنَّمَا أَشَرْنَا إِشَارَةً إِلَىٰ بَعْضِهَا لِتَعرِفَ شُهْرَةَ هَذَا الْبَابِ وَاسْتِفَاضَتِهِ وَتَوَاتُرِهِ مَعَ الْإِيجَازِ وَالِاخْتِصَارِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ". اهـ، فانظره غير مأمور.

ومنها: أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يومًا جالسًا بين أصحابه فضحك، فقالوا ما أضحكك يا رسول الله؟، قال: «**أَنْزَلَ اللهُ عَلَيَّ آنفًا سُورَةً:** ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١-٣]»، «**أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَر؟**» قال: «**الْخَيْرُ الْكَثِير**».

ومن الخير الكثير: هذا الحوض الذي أعطاه الله لنبينا محمد ﷺ.(١)

وقد ورد في بعض الروايات: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا**»، وهو حسن يحتمل الصحة.(٢)

---

(١) أخرج مسلم في كتاب (الصلاة) (رقم: ٤٠٠) عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ**» فَقَرَأَ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١-٣]، ثُمَّ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**» فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي -عَزَّ وَجَلَّ-، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ**»، وانظر أقوال أهل العلم في بيان هذا الخير تفسير ابن كثير (١٤/ ٤٧٥-٤٧٩).

(٢) قال شيخنا -حفظه الله- في كتابه "عون الباري ببيان ما تضمنه شرح السنة للإمام البربهاري" (١/ ١٣١-١٤١): وقول المؤلف رحمه الله: "ولكل نبي حوض، إلا صالح النبي عليه السلام، فإن حوضه ضرع ناقته".

أمّا أنّ لكل نبي حوضًا فصحيح، فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً**». أخرجه الترمذي في (باب صفة القيامة)، حديث: (٢٤٤٣)، والبخاري في "التأريخ" (١/ ٤٤)، وابن أبي عاصم في "السنة" حديث: (٧٣٩)، وضعّفه الألباني من هذا الوجه، ثم ساق له شواهد، ثم قال: "إن الحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح". انظر: "الصحيحة" (١٥٨٩)، والأمر كما ذكر. =

نسأل الله أن يجعلنا من واردي حوض نبينا والشاربين منه شربًا هنيئًا لا نظمأ بعده أبدًا.

= وأما قوله: «إلا صَالِحُ النبيُّ ﷺ؛ فإنَّ حَوْضَه ضَرْعُ نَاقَتِه» فموضوع. ذكره العقيلي في "الضعفاء" (٣/ ٦٤-٦٥)، وعنه ابن الجوزي في "الموضوعات" (٣/ ٢٤٤)، من طريق عبدالكريم بن كيسان، عن سويد بن عمير به مرفوعًا. قال ابن الجوزي: "حديث موضوع لا أصل له . قال العقيلي: عبد الكريم مجهول بالنقل وحديثه غير محفوظ".

وقال الذهبي في ترجمة عبدالكريم هذا في "الميزان" (٢/ ٦٤٥): "من المجاهيل وحديثه منكر..."، ثم أوردَ له الحديث المتقدم، وقال عقبه: "هو موضوع، والله أعلم".اهـ

وأخرجه حميد بن زنجويه وعنه ابن عساكر في "تأريخه" -كما في "اللآلئ المصنوعة" (٢/ ٤٤٤-٤٤٥)- من طريق آخر عن كثير بن مرة به مرسلاً.

بيد أنه لا يُفرَح بمثله؛ فإسناده تالفٌ مسلسل بالمجاهيل مع إرساله.

﴿١٢﴾ وَالشَّفاعَـةُ حَـقٌّ، وَأَنَّ نَاسًـا مِـنْ أَهْـلِ التَّوْحِيـدِ يَخْرُجُـونَ بِالشَّفَاعَـةِ حَـقٌّ.[١]

الشرح

قال الشيخ -حفظه الله- في "شرح عقيدة السلف أصحاب الحديث" (ص ٢١٠):

"ومن العقائد التي يجب الإيمان بها أيضًا: الإيمان بالشفاعة، وقد ورد في القرآن والسنة الحديث عن الشفاعة: الشفاعة المنفية التي لا يمكن أن تكون أو تقبل وهي الشفاعة في الكفار، والشفاعة المثبتة للمؤمنين، كل ذلك جاء به القرآن وتحدثت عنه سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام- بالأحاديث الصحيحة المتواترة.

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بشفاعة رسول الله -عليه الصلاة والسلام- بل بشفاعة الأنبياء جميعًا وشفاعة المؤمنين وشفاعة العلماء وشفاعة الشهداء.. إلخ.

وهناك من الفرق الضالة من ينكر الشفاعة في الموحدين ويتعلق بنفي الله -تبارك وتعالىٰ- الشفاعة التي تخص الكفار! كما في قوله -تبارك وتعالىٰ-:

---

(١) لم أجد التسجيل الصوتي للفقرات المرقمة من (١٢-١٦) فنقلت كلامه -حفظه الله- علىٰ هذه المسائل من "شرح أصول السنة"، و"شرح عقيدة أصحاب الحديث"، و"عون الباري بما تضمنه شرح السنة للبربهاري".

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨].

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[البقرة: ٢٥٤].

هذه الشفاعة في الكفار لا تحصل أبدًا، ثم قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[البقرة: ٢٥٥].

فالشفاعة الأولىٰ منفية تمامًا، والشفاعة الثانية تحصل بإذن الله وبأمره للمؤمنين الموحدين، ولا يستطيع أحد أن يتقدم بين يديه ليشفع عنده من تلقاء نفسه؛ بل لابدَّ فيها من الإذن؛ لابد فيها من إذن الله للشافع والرضا عنه، ولابد فيها من الرضا عن المشفوع فيه، ولا يرضىٰ الله إلا عن الموحدين؛ فيقبل فيهم شفاعة الشافعين بعد الاستئذان، والإذن من الله.

ففي هذا السياق: ذكر الشفاعة المنفية عن الكافرين، وذكر الشفاعة الثابتة للمؤمنين، ومع هذا يتعامىٰ المعتزلة والخوارج ومن سار علىٰ نهجهم عن هذا البيان الواضح، في سياق واحد في سورة البقرة؛ آية الكرسي وما قبلها:

ذكر شفاعتين؛ شفاعةً منفية إطلاقًا، وشفاعةً تحصل بعد إذن الله -تبارك وتعالىٰ-، فيُكابرون كما هو شأن أهل الباطل والعياذ بالله!.

وتحدَّث الله عن الشفاعة في آيات أخرىٰ أيضًا، منها قول الله -تبارك وتعالىٰ- في سورة الأنبياء: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقال في سورة النجم: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦]، فهذه شفاعة مثبتة للمؤمنين لكنها مشروطة بالإذن؛ فالملائكة مع كثرتهم ومكانتهم لا يشفعون إلا بعد إذن الله: ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾، وكذلك الأنبياء والصالحون من الصحابة وغيرهم؛ كلهم يشفعون بعد إذن الله تبارك وتعالىٰ.

والرسول -عليه الصلاة والسلام- كما في الأحاديث الكثيرة الثابتة: عندما تشتدُّ الأهوال يوم القيامة بالناس ويطول انتظار الناس في الموقف يذهبون إلىٰ آدم وإلىٰ نوح وإلىٰ إبراهيم وإلىٰ موسىٰ وإلىٰ عيسىٰ ليشفعوا لهم عند ربهم في كشف هذا الغمّ والكرب؛ فيعتذرون كلهم، ويقول كل واحد منهم: «**نَفْسِي نَفْسِي**»؛ ثم يذهبون إليه ﷺ؛ فلا يشفع لهم ﷺ إلا بعد الاستئذان وإذن الله له، ولا يشفع ابتداء؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ. فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ! أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ؛ اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ. فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ! أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا؛ اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَىٰ قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﷺ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ. فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ ﷺ فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَىٰ! أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ

وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَىٰ النَّاسِ؛ اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَىٰ ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَىٰ عِيسَىٰ ﷺ. فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَىٰ! أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ؛ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَىٰ ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا -، نَفْسِي نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؛ اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! أُمَّتِي أُمَّتِي!. فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ: إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَىٰ». (١)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير - رقم (٤٧١٢)، ومسلم في كتاب - الإيمان رقم (١٩٤).

فهؤلاء الأنبياء كلٌّ منهم يعتذر ويقول: إنّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ويذكر خطيئته ويستحي من ربه أن يشفع؛ لأن بعضهم وقع في الخطأ، وبعضهم وقع في شبه الخطأ! وإن كانوا قد خرجوا من هذا الخطأ وشبهه بتوبة لا نظير لها، ولكن الحياء يُلاحقهم حتىٰ في الآخرة!.

فعلينا أن نستحيي من الله في الدنيا والآخرة! والله لا يرتكب المعاصي والجرائم والظلم إلا من قلَّ حياؤه أو عُدِم؛ فالحياء أمر عظيم.

ومن فوائده الجليلة: أنك ربما تهمّ بالمعصية فتذهب وتمشي إليها، ثم تتذكر وتقول: إن ربي يراني ويسمعني؛ فتخجل وتخاف في نفس الوقت؛ فيدفعك ذلك الحياء والخوف إلىٰ الإحجام عن فعلها، فالحياء رادع عظيم ووازع عظيم؛ الحياء والخوف مع الإيمان الصادق.

فعلينا أن نقوِّي إيماننا وأن نُغذِّي الحياء بدراسة سير الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ومنها هذا الحديث.

الأنبياء يستحون أن يشفعوا في ذلك اليوم:

فهذا نبي الله آدم -عليه الصلاة والسلام- يستحي أن يشفع؛ نهاه الله أن يأكل من الشجرة فخدعه الشيطان وقاسمه بالله: إنه لمن الناصحين وإنها شجرة الخلد، فخدعه وأكل منها وتاب وندم منه؛ قال الله عنه وعن زوجه -عليهما السلام-: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[الأعراف: ٢٣]، فتاب الله عليهما، ومع ذلك يأتي يوم القيامة مستحيًا، ويعتذر عن الشفاعة ويقول: أنا أخطأت!.

ونوح دعا علىٰ قومه الكفار ومع هذا اعتبر ذلك خطيئة! فيستحي ويخجل منها؛ ويعتذر عن الشفاعة.

وإبراهيم عليه السلام؛ يعتذر عن الشفاعة بأنه كذب ثلاث كذبات في ذات الله - وهي توريات- لكنه أطلق عليها أنها كذب وهي توريات ليست بكذب حقيقي، وبعضها مثل قوله عن زوجته: إن هذه أختي، يعني: أخته في الإسلام، وليست بكذبة، مع هذا من شدة خوفه من الله وحيائه منه وعلوّ منزلته عند الله عَزَّ وَجَلَّ يرىٰ أن هذا خطأ، ويراها ذنوبًا ويخجل من الله وهو خليله -عليه الصلاة والسلام- وهو أفضل الأنبياء بعد محمد -عليه الصلاة والسلام- وأبو الأنبياء فما بعث الله من نبي بعده إلا من ذريته.

وَرَدَتْ آيات تنفي الشفاعة وهي في الكافرين، وآيات أخرىٰ تثبت الشفاعة وهي في المؤمنين - كما ذكرنا لكم -، فيأتي المعتزلة والخوارج فيتعلقون بالآيات التي تقصد الكفار الذين لا تغفر ذنوبهم بحال من الأحوال، والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]؛ فهذه الآية نستفيد منها: أنّ الله يغفر لعباده المُذنبين الموحدين، أو عباده عمومًا ما عدا الشرك، فمن لقي الله لا يشرك به شيئًا،

مُوَحِّدًا لله -تبارك وتعالىٰ-؛ فإنه لابد أن يخرج من النار بإيمانه؛ إما برحمة أرحم الراحمين، وإما بشفاعة الشافعين، لابد من هذا.

وَوَرَدَتْ أحاديث في الشفاعة[1]: مثل حديث أبي سعيد، وحديث أنس، وحديث أبي هريرة، وفي هذه الأحاديث: «**أن الله يُخرج من النار من كان في قلبه أدنىٰ أدنىٰ أدنىٰ مثقال ذرة من إيمان ممن قال لا إله إلا الله**».

ونستفيد منها: أنّ من لقي الله يشهد أن لا إله إلا الله مخلصًا يخرجه الله من النار ولو كان عنده أدنىٰ مثقال ذرة من إيمان؛ ذلك أنّ الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي فينقص وينقص إلىٰ أن لا يبقىٰ منه إلا مثقال ذرة فيُخرج الله به أقوامًا من النار.

لكن لا ينبغي للمسلم أن يعتمد علىٰ الشفاعة ويتجرأ علىٰ المعاصي؛ فإن في ذلك خطرًا عظيمًا:

١) فقد يرتد المسلم؛ لأن المعاصي بريد الكفر؛ فقد تجره معاصيه إلىٰ الكفر والخروج من الإسلام بأن ينقص إيمانه وينقص إلىٰ أن يزول بسرعة بارتكاب مكفِّر؛ فلا يغفر الله له؛ ولا يأذن بالشفاعة فيه؛ بل يكون مصيره الخلود في النار.

٢) وإنْ لم تصل به ذنوبه ومعاصيه إلىٰ الكفر؛ بل كان ممن لقي الله بشيء

(١) انظر كتاب "الشفاعة" للشيخ العلامة مقبل الوادعي رحمه الله فقد جمع أحاديث الشفاعة وبين صحيحها من سقيمها، فقد أجاد وأفاد فجزاه الله خيرا وجعل ذلك في موازين حسناته.

من الإيمان مع التوحيد لله عَزَّ وَجَلَّ والصدق في هذا الإيمان ولو كان مثقال ذرة؛ فإنه يخرج من النار بالشفاعة؛ إذ أنَّ من لقي الله لا يشرك به شيئًا وكان إيمانه خالصًا لله عَزَّ وَجَلَّ؛ يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو مخلص في ذلك، ويلقىٰ الله بذنوب أمثال الجبال، فإن شاء الله عفا عنه كما في حديث البطاقة، وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه، ثم بعد ذلك يُخرجه بإيمانه وتوحيده وإخلاصه، لكن من منكم مستعد أن يبقىٰ خمسين ألف سنة في النار؟!!.

هذا الذي يمنع الزكاة يلبث خمسين ألف سنة في العذاب(١)، فكيف بالذي يمتنع عن الصلاة؟.

فلا يتساهل الإنسان ويعتمد علىٰ أحاديث الشفاعة ويقول: الأنبياء والصالحون يشفعون في أهل النار!! وإنما يجب أن تخشىٰ الله وتخافه، وأن تجتهد في الأعمال الصالحة ولا تتمادىٰ في الذنوب بل تبادر إلىٰ التوبة.

إن وقعت في ذنب تُبْ إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فالله عَزَّ وَجَلَّ مَدَحَ الذين لم يُصرّوا علىٰ الذنوب فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

---

(١) أخرج مسلم في كتاب (الزكاة) (رقم: ٩٨٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «ما من صَاحِبِ ذَهَبٍ ولا فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي منها حَقَّهَا إلا إذا كان يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ له صَفَائِحُ من نَارٍ فَأُحْمِيَ عليها في نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بها جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ له في يَوْمٍ كان مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ...».

وفي الحديث الصحيح: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ على الرَّجُلِ حتى يُهْلِكْنَهُ»(١)، والعياذ بالله.

وقال ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»(٢)، وقال الله عزَّ وجَلَّ: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، والعُصاة كثيرٌ منهم يشاركون الكفار في هذه النار وإن خرجوا بالشفاعة، لكن مَن منا مُستعد أن يبقىٰ في النار دهرًا والعياذ بالله؟! ويلقىٰ العذاب علىٰ معاصيه في عرصات القيامة؛ أهل الطاعة في ظل العرش يُنعَّمون، وهم -أهل المعصية- في وهج الشمس؛ يقربون من الجحيم والهلاك -والعياذ بالله- يَتَقَلْقَلُون ويتمَلْملون ويعانون من المخاوف والأهوال ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالىٰ.

الشاهد: أن الآيات والأحاديث في الشفاعة كما ذكرنا لكم، وهي أحاديث وردت في الصحاح وغيرها: "البخاري"، و"مسلم"، و"صحيح ابن خزيمة"، و"مستدرك الحاكم"، و"صحيح ابن حبان"، و"مسند أحمد"، والمسانيد والمعاجم والسنن كلها فيها هذه الأحاديث وهي كثيرة تبلغ حد التواتر فنؤمن بها.(٣)

---

(١) **صحيح**، أخرجه أحمد (١/ ٤٠٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وانظر "صحيح الترغيب والترهيب" (٢/ ٦٤٣، رقم: ٢٤٧٠) للألباني.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق - رقم (٦٠٢٣)، ومسلم في كتاب الزكاة - رقم (١٠١٦).

(٣) قال الشيخ العلامة حافظ الحكمي رحمه الله في "معارج القبول" (٣/ ١٠٨٣): "وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ جِدًّا مَشْهُورَةٌ مُسْتَفِيضَةٌ بَلْ مُتَوَاتِرَةٌ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهَا مَا فِيهِ كِفَايَةٌ، وَتَقَدَّمَ فِي أَحَادِيثِ=

كل هذه الآيات والأحاديث يتأولها الخوارج والمعتزلة مثل تأويل المكذبين -والعياذ بالله-، ويحرفونها مع الأسف الشديد ويكابرون في دفعها، ويرون أن من دخل النار لا يخرج منها! ويحتجُّون بآيات وردت في الكفار.

منها: قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾[الليل: ١٥-١٦]؛ الله -سبحانه وتعالىٰ- نصّ علىٰ أنه كذّب وتولّىٰ، وهذا الذي دخل النار بذنوبه لم يكذِّب؛ فالآية حجّة عليهم، وهذه من الآيات التي يحتجون بها.

ومنها قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٣]، والمقصودون بها الكفار. وبقول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[الجن: ٢٣]، هذه معصية الكفر والشرك؛ بدليل أنّ هناك آيات تنصّ علىٰ أن الله يقبل الشفاعة في العصاة، والأحاديث متواترة في أن الله -تبارك وتعالىٰ- يقبل الشفاعة في العصاة ويأذن بالشفاعة في العصاة.

والرسول ﷺ له شفاعات، له ﷺ الحظّ العظيم من هذه الشفاعات، شفاعات لا يشاركه فيها أحد، وهي:

١) **الشفاعة العظمىٰ:** وهي الشفاعة في إراحة الناس من ذلك الموقف العظيم؛ حين يذهبون إلىٰ الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة فيتدافعونها حتىٰ

= الرُّؤْيَةِ جُمْلَةٌ مِنْهَا عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَبَقِيَ مِنَ النُّصُوصِ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرٌ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ".

تصل إليه -عليه الصلاة والسلام- فيقول: أنا لها ويذهب فيخرّ ساجدًا تحت العرش ويحمد الله ويثني عليه بمحامد يُلهمه الله إياها في تلك المناسبة «**ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ! أُمَّتِي يَا رَبِّ! أُمَّتِي يَا رَبِّ!**»(١).

فيريح الله الناسَ من الموقف؛ أمة محمد وغيرها من ذلك الموقف، ثم يمرون على الصراط فمنهم من يقع في النار، ومنهم من يتجاوزه برحمة الله.

٢) **الشفاعة في دخول أهل الجنة الجنة:** إذ الرسول ﷺ أول من يدخل الجنة كما جاء في الحديث الصحيح: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**»(٢).

٣) **وشفاعة خاصة في عمِّه أبي طالب:** إذ يجده في أعماق النار فيشفع له فيصير في ضحضاح من النار كما ورد في الحديث: «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»(٣).

وفي حديث آخر: «**أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**»(٤) -والعياذ بالله- وهو أخف الناس عذابًا؛ لأنه كان يذب

---

(١) تقدم تخريجه (ص١١٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب (الإيمان) (رقم: ١٩٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب (مناقب الأنصار) (رقم: ٣٨٨٣)، ومسلم في كتاب (الإيمان) (رقم: ٢٠٩).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب (الإيمان) (رقم: ٢١٢).

عن رسول الله -عليه الصلاة والسلام- ويحوطه ويحميه ويدافع عنه إلىٰ أن مات، لكن ما وُفِّق للإسلام؛ مات وهو يقول: علىٰ ملة عبد المطلب! الرسول ﷺ كان يدعوه ويدعوه إلىٰ أن حضرته الوفاة: دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِهِ الْحَالِ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ فَقَالَ: «**أَيْ عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**»، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ! أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟! فَلَمْ يَزَالَا يُكَلِّمَانِهِ حَتَّىٰ كَانَ آخِرُ شَيْءٍ كَلَمَهُمْ بِهِ: أنه عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»(١)، ما منعه إلا الكبر وخشية العار، ونعوذ بالله من الكبر، فمات كافرًا وأُدخِل النار فيشفع فيه رسول الله -عليه الصلاة والسلام-؛ يخرجه من أعماق النار إلىٰ ضحضاح فيها ولا يدخل الجنة؛ لأن الله حرم الجنة علىٰ الكافرين «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ**»(٢) كما في أحاديث أخرىٰ.

ثم بعد ذلك يشفع الرسول ﷺ وغيره شفاعات أخرىٰ، ومن هذه الشفاعات:

٤) **الشفاعة في خروج عصاة الموحِّدين من النار:** فيشفع رسول الله ﷺ ويسجد تحت العرش فيؤذن له في أقوام يحدّهم الله له فيخرجهم من النار،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الجنائز) (رقم: ١٣٦٠)، ومسلم في كتاب (الإيمان) (رقم: ٢٤).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٧٩)، وعند البخاري في كتاب (الرقاق) (رقم: ٦٥٢٨)، ومسلم في كتاب (الإيمان) (٢٢١) بلفظ: «نفس مسلمة».

ومنهم من عنده مثقال دينار من إيمان، ومنهم من عنده نصف مثقال دينار، ومنهم من عنده مثقال حبة شعير من إيمان، ومنهم من عنده مثقال ذرة إلىٰ أدنىٰ من مثقال ذرة من إيمان، وكذلك حدد الله للمؤمنين الشافعين في أقوام منهم من يكون عنده مثقال دينار، مثقال ذرة، مثقال ... إلخ، يشفع فيهم الأنبياء ويشفع المؤمنون ويشفع الملائكة ثم يقول الله -تبارك وتعالىٰ-: «**شَفَعَتِ الْمَلائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ولم يَبْقَ إلا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ**»(١).

هذه رحمة أرحم الراحمين؛ كل هذه الشفاعات ترجع إلىٰ رحمته -سبحانه وتعالىٰ- (الرحمن الرحيم)، لكن الكفار الذين كذّبوه وكذّبوا رُسله وماتوا علىٰ كفرهم؛ فهؤلاء لا تشملهم رحمة الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فهؤلاء الكفار محرومون منها!.

فنسأل الله -تبارك وتعالىٰ- أن يتغمدنا برحمته وأن يجعلنا من أهل شفاعة نبيه -عليه الصلاة والسلام-، وكلنا محتاجون إلىٰ شفاعته -عليه الصلاة والسلام- وأشدهم حاجة العصاة؛ أهل الكبائر يشفع فيهم ﷺ كما ورد في الحديث: «**شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»(٢) يعني: الشفاعة الأهم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (التوحيد) (رقم: ٧٤٣٩)، ومسلم في كتاب الإيمان (رقم: ١٨٣).

(٢) **صحيح**، أخرجه أحمد (٣/ ٢١٣)، وأبو داود في كتاب السنة (رقم: ٤٧٣٩)، والترمذي في كتاب=

هي هذه، وإلا فهناك شفاعات شاملة لهم ولغيرهم.

وذكر المؤلف رحمه الله في هذا الفصل؛ أي: الشفاعة في أهل المعاصي، حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيث أَحَدٌ أَوَّل مِنْكَ**» أي: قبلك «**لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَىٰ الْحَدِيثِ**».[(١)]

كان من أشدّ الناس حرصًا علىٰ سماع كلام رسول الله وعلىٰ حفظه، فهو كما يقال: حافظ الصحابة؛ يعني: اعتنىٰ عناية شديدة بسنة رسول الله فكان يحفظها.

وكما قال أبو هريرة -نفسه رضي الله عنه-: «كَانَ إِخْوَانِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ وَإِخْوَانِي الأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ الْعَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ لَازَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَىٰ مِلْءِ بَطْنِي».[(٢)]

يعني: لازَمَه، لا يريد تجارة ولا زراعة، يحب سماع الحديث ويرضىٰ بالقليل، فحفظ شيئًا كثيرًا في مدة ثلاث سنوات، فرأىٰ فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الحرص علىٰ الحديث الشيء العجيب؛ فقال: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لا يَسْأَلَنِي عَنْ**

= (صفة القيامة) (رقم: ٢٤٣٥)، وانظر "مشكاة المصابيح" (٥٥٩٩)، و"ظلال الجنة" (برقم: ٨٣١ و٨٣٢) للألباني رحمه الله.

(١) أخرجه البخاري في كتاب (العلم) (رقم: ٩٩) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب (العلم) برقم: (١١٨)، ومسلم في كتاب: (فضائل الصحابة) (رقم:٢٤٩٢).

هَذَا الْحَدِيثَ أَحَدٌ أَوَّل مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَىٰ الْحَدِيثِ» يعني: عنده حرص شديد علىٰ حديث رسول الله؛ ثم أجابه: فقال: «إِنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ»(١)، وفي بعض الروايات: «خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»(٢)، وهذه تشمل أصناف المؤمنين؛ يعني: أهل الإيمان الكامل وأهل الإيمان الناقص من أهل المعاصي، كلهم سعداء بشفاعته ﷺ.

نسأل الله -تبارك وتعالىٰ- أن يجعلنا من أهل شفاعته، وأن يرحمنا بواسع رحمته؛ إن ربنا لسميع الدعاء(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: (الرقاق) (رقم:٦٥٧٠).

(٢) عند البخاري في كتاب (العلم) (رقم:٩٩) بلفظ: «خالصًا من قلبه أو نفسه».

(٣) انظر "شرح أصول السنة" (ص: ٥٣-٥٥) للشيخ ربيع حفظه الله.

١٣ وَعَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ.

١٤ وَمُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ حَقٌّ.

الشرح

قال الشيخ -حفظه الله- في "شرح أصول السنة" (٤٦-٤٩):

"**والإيمان بعذاب القبر**" هذا وردت فيه أحاديث، ومن الآيات قوله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، ففرعون وقومه وكذلك سائر الكفار يعرضون علىٰ النار غُدوًّا وعَشِيًّا، هذا عذاب البرزخ، ثم عطف عليه عذاب يوم القيامة، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ إلىٰ آيات أخرىٰ تفيد هذا.

وَوَرَدَ في عذاب القبر عن الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في الصحيحين[(١)] مرَّ علىٰ قبرين وقال: «**إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**» قال: «**بَلَىٰ إِنَّهُ كَبِيرٌ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الآخر فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ**»، وقع في كبيرة فعذّبه الله في البرزخ.

هذا من الأدلة علىٰ أن الكفار وأهل الكبائر من المسلمين يعذّبون في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: (الوضوء) (رقم:٢١٨)، ومسلم في كتاب (الطهارة) (رقم: ٢٩٢).

القبر بذنوبهم.

منها حديث البراء[١] يعني أنّه يأتي الميت منكر ونكير ويسألانه[٢]، فالمؤمن يقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبيّنات والهدىٰ وكما في حديث أسماء فآمنَّا به واتبعناه.[٣]

وفي حديث البراء يُسأل: «**مَنْ رَبُّك؟ وَمَنْ نَبِيُّك؟ وما دِينُك؟ فيقول: ربِّي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ. فيقال له: نَمْ صَالِحًا؛ فَقَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُؤْمِنًا، فيعرض عليه مقعده من النار لو كان كافرًا، ثم يقال: عوّضك الله بمقعد في الجنة. فيقول: ربِّ أَقِمِ الساعة. فيقال له: انتظر**»[٤].

والكافر يأتيه الملكان فيسألانه: من ربُّك؟ وما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته.

ونسأل الله السلامة، فإنّه يُخاف علىٰ كثير من الناس؛ لأنّه لا يعرف معنىٰ الرسالة حقّ المعرفة، ولا يعرف أنّ محمدًا جاء بالبينات والهدىٰ،

---

(١) **صحيح**، رواه أحمد (٤/ ٢٨٧-٢٨٨ و٢٩٥-٢٩٦)، وأبو داود في كتاب (السنة) (رقم: ٤٧٥٣ و٤٧٥٤)، وانظر: "مشكاة المصابيح" (١/ ٥١٢، رقم:١٦٣٠)، و"أحكام الجنائز" (١٩٨-٢٠٢) للألباني.

(٢) جاء ذكر تسمية الملكين (منكر ونكير) في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الترمذي في كتاب (الجنائز) (رقم:١٠٧١)، وابن حبان في "صحيحه" (٧/ ٣٨٦، برقم: ٣١١٧) وغيرهما، وانظر "الصحيحة" (٣/ ٣٨٠، برقم ١٣٩١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: (العلم) (رقم:٨٦)، ومسلم في كتاب (صلاة الكسوف) (رقم:٩٠٥).

(٤) **صحيح**، رواه أحمد (٣/ ٣-٤) وغيره، وصححه الألباني في "الصحيحة" (٧/ ١١٧٠، رقم: ٣٣٩٤).

ولا يعرف معنىٰ لا إله إلا الله، وإنّما وجد الناس يقولون شيئًا فقاله.

فَلْيحذر المؤمن ويتدبّر كتاب الله وَلْيُعِدَّ العُدَّة لهذه الإجابة، ومحمد بن عبدالله جاءنا بالبينات والهدىٰ فآمنا به واتبعناه؛ يعني هذا الإيمان مترتب علىٰ معرفة الهدىٰ والبيان الذي جاء به محمد ﷺ فنفع في هذا الامتحان الشديد.

والرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يقول: «**إِنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْل أَوْ قَرِيب مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**».

وفي التشهّد أيضًا: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ**».(١)

وأدلة عذاب القبر والبرزخ كثيرة(٢)، ومنها ما ذكرناه لكم، وهو أمر ثابت

---

(١) "البخاري": كتاب (الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر) حديث رقم: (١٣٧٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم: كتاب (المساجد مواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة)، حديث رقم: (٥٨٩)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) قال الشيخ العلامة حافظ الحكمي رحمه الله في "معارج القبول" (٢/ ٨٨١): "وَأَمَّا نُصُوصُ السُّنَّةِ فِي إِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ فَقَدْ بَلَغَتِ الْأَحَادِيثُ فِي ذَلِكَ مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ؛ إِذْ رَوَاهَا أَئِمَّةُ السُّنَّةِ وَحَمَلَةُ الْحَدِيثِ وَنُقَّادُهُ عَنِ الْجَمِّ الْغَفِيرِ وَالْجَمْعِ الْكَثِيرِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ وَعَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَأَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ وَأَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ وَأُمُّ خَالِدٍ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ وَسَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ وَأَبُو بَكْرَةَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَمُرَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَأَبُوهُ عَمْرٌو وَأُمُّ مُبَشِّرٍ وَأَبُو قَتَادَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَأَبُو طَلْحَةَ وَأَسْمَاءُ أَيْضًا وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَنَةَ وَتَمِيمٌ الدَّارِيُّ وَحُذَيْفَةُ وَأَبُو مُوسَىٰ وَالنُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ وَعَوْفُ بْنُ مَالِكٍ".

يؤمن به أهل السنّة، وينكره المعتزلة ومن قلّدهم من أهل الضلال.(١)

"وإنّ هذه الأمة تُفتَن في قبورها، وتُسأل عن الإيمان والإسلام، ومن ربُّه؟ ومن نبيُّه؟ ويأتيه منكر ونكير، كيف شاء الله عَزَّ وَجَلَّ، وكيف أراد، والإيمان به والتصديق به".

كيف يدخل منكر ونكير في القبر؟ كيف يشاء الله، الملك يدخل في الرحم، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وشقيٌّ أم سعيد، ويدخل في القبر ويسأل كيف؟

ما نعلم كيفية هذا، يعلمه الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وأخبر بذلك، فما عليك إلَّا الإيمان؛ ومِيْزَةُ المؤمن -أفضل مزاياه- أنّه يؤمن بالغيب ﴿الٓمٓ ① ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ② ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[البقرة:١-٣]، فتؤمن بالغيب الذي تضمّنه القرآن، وتؤمن بالغيب الذي تضمّنته سنّة محمد ﷺ الذي كلّفه الله بتبليغ هذا القرآن وبيانه، وهذه من جملة البيانات، وهذه أحاديث فيها تفصيل الآيات التي دلّت علىٰ عذاب البرزخ أو النعيم فيه.

---

(١) قال الشيخ العلامة حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ في "معارج القبول" (٢/ ٨٧٢):

"وَإِنَّ كـل مقعـد مسؤول ... مَا الرَّبُّ مَا الدِّينُ وَمَا الرَّسُولُ
وَعِنْدَ ذَا يُثَبِّتُ الْمُهَيْمِـنُ ... بِثَابِتِ الْقَـوْلِ الَّـذِينَ آمَنُـوا
وَيُوقِنُ الْمُرْتَابُ عِنْدَ ذَلِكَ ... بِأَنَّمَـا مَـوْرِدُهُ الْمَهَـالِكُ

فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ إِثْبَاتُ الْمَسْأَلَةِ الْعَظِيمَةِ، وَهِيَ إِثْبَاتُ سُؤَالِ الْقَبْرِ وَفِتْنَتِهِ وَعَذَابِهِ وَنَعِيمِهِ، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ بِذَلِكَ نُصُوصُ الشَّرِيعَةِ كِتَابًا وَسُنَّةً وَأَجْمَعَ عَلَىٰ ذَلِكَ أَئِمَّةُ السُّنَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَإِنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ بِشْرٌ الْمَرِيسِيُّ وَأَضْرَابُهُ وَأَتْبَاعُهُمْ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ...".

(١٥) وَالْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ حَقٌّ.

الشرح

قال الشيخ -حفظه الله- في كتابه "عون الباري ببيان ما تضمنه شرح السنة للإمام البربهاري" (١/ ١٦٣-١٧٠):

والإيمان بالملائكة الكرام من أركان الإيمان، فلابد من الإيمان بهم جميعًا، وقد قدمنا بعض الأدلة علىٰ وجوب الإيمان بهم، وقد أثنىٰ الله عليهم في محكم كتابه وبيّن صفاتهم وقربهم منه وعبادتهم له وخوفهم منه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [النحل: ٤٩-٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾

﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٢٧-٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤١].

ومن صفاتهم الخَلْقية: أن لهم أجنحة، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر: ١].

وروىٰ البخاري ومسلم[1] -رحمهما الله- بإسنادهما إلىٰ أبي إسحاق الشيباني، قال: "سألت زر بن حبيش عن قول الله -عز وجل-: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم: ٩]، قال: أخبرني ابن مسعود أن النبي ﷺ رأىٰ جبريل له ستمائة جناح".

وعن مسروق قال: "كنت متكئًا عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم علىٰ الله الفرية، قلت: ما هُنَّ؟ قالت: من زعم أن محمدًا ﷺ رأىٰ ربه فقد أعظم علىٰ الله الفرية، قال: وكنت متكئًا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين، أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عزَّ وجلَّ:

(١) أخرجه البخاري في كتاب (بدء الخلق) (رقم: ٣٢٣٢)، ومسلم في كتاب (الإيمان) (رقم: ١٧٤).

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾[التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[النجم: ١٣]؟ فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَىٰ صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ»".(١)

قال أبو داود: حدثنا أحمد بن حفص بن عبدالله، قال: حدثني أبي، قال: حدثني إبراهيم بن طهمان، عن موسىٰ بن عقبة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ، قال: «أُذِنَ لي أنْ أُحَدِّثَ عن مَلَكٍ من ملائكةِ اللهِ من حَمَلَةِ العرْشِ: أنَّ مَا بينَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إلىٰ عَاتِقِهِ: مَسِيرةُ سَبْعِمَائَةِ عَامٍ».(٢)

ولهم أعمال وكلهم الله بها، منها:

كتابة أعمال بني آدم من حسنات وسيئات، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾[الانفطار: ١٠-١١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق: ١٦-١٨].

فليتق اللهَ العبدُ في أقواله وأعماله وتصرفاته وحتىٰ في خطرات قلبه، وليعلم أن الله يعلم سره وجهره، ويعلم السرّ وأخفىٰ، وأن أعماله الصالحة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (التفسير) (رقم: ٤٨٥٥)، ومسلم في كتاب (الإيمان) (رقم ١٧٧).

(٢) **صحيح**، أخرجه أبو داود في كتاب (السنة)، باب: في الجهمية) (رقم: ٤٧٢٧)، وانظر: "الصحيحة" (١/ ٢٨٢، رقم: ١٥١).

كبيرها وصغيرها مسجلة له، وأن أعماله وأقواله السيئة مسجلة عليه، لا يترك منها شيء، وليستح العبد من ربه الرقيب عليه، والذي يرىٰ ويسمع أقواله وأعماله، ولو كانت في الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

وليستح من الملائكة الحافظين الكرام الكاتبين.

عن أبي هريرة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَتعاقَبُونَ فِيكُمْ مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهارِ. وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الْعَصْرِ، وَصَلاةِ الْفَجْرِ. ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**»[(١)].

ومن الملائكة من هو موكل بقبض الأرواح، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[السجدة: ١١].

ولملك الموت أعوان؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[الأنفال: ٥٠].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: (مواقيت الصلاة) (رقم:٥٥٥)، ومسلم في كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) (رقم: ٦٣٢).

عن البراء بن عازب ﵁، قال: «خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلىٰ القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن علىٰ رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه، فقال: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»، مرتين أو ثلاثا، ثم قال: « إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، نَزَلَ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ كَفَنِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ، فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، وَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَىٰ مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ يَنْتَهُوا بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ فِي الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ، قَالَ: فَيُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟

فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا عَمَلُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي أَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، فَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، وَهَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّي أَقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ ثَلَاثًا، حَتَّىٰ أَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِي وَمَالِي».

قال: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَىٰ سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ، فَتَفَرَّقُ فِي أَعْضَائِهِ كُلِّهَا، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَتَتَقَطَّعُ مَعَهَا الْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَأْخُذُوهَا مِنْ يَدِهِ، فَيَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ».

قَالَ: «وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَىٰ مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا،

حَتَّىٰ يَنْتَهُوا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهَا فَلَا يُفْتَحُ لَهَا»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فيقول الله -عز وجل-: «اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَىٰ، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا»، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَا هَا لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَا هَا لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَا هَا لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ النَّارِ، وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ، حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ».

قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ السَّيِّئُ، فَيَقُولُ: رَبِّي لَا تُقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ».(١)

ومنهم الموكل بالسحاب، فقد جاء اليهود فسألوا رسول الله ﷺ عدة أسئلة، منها: قولهم: «أخبرنا ما هذا الرعد؟ قال: «مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ

(١) تقدم تخريجه (ص ١٢٧).

عَزَّ وَجَلَّ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ بِيَدِهِ -أَوْ فِي يَدِهِ- مِخْرَاقٌ مِنْ نَارٍ، يَزْجُرُ بِهِ السَّحَابَ، يَسُوقُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ»، قالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع؟ قال: «صَوْتُهُ»، قالوا: صدقت...»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّىٰ ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ - لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ - فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ»(٢).

---

(١) **صحيح**، أخرجه أحمد (١/ ٢٧٤)، والترمذي في كتاب (التفسير) (رقم: ٣١١٧)، وانظر "الصحيحة" (٤/ ٤٩١، رقم: ١٨٧٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: (الزهد والرقائق) (رقم: ٢٩٨٤).

(١٦) وَالْبَعْثُ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ حَقٌّ.

الشرح

قال الشيخ -حفظه الله - في "شرح عقيدة السلف أصحاب الحديث" (ص ٢٠٠):

"يذكر المؤلف هنا من العقائد الإيمان: بالبعث بعد الموت، وتراه هنا غيّر العبارة من قوله: (**يُؤْمِنُ أَهْلُ الْحَدِيثِ**) إلىٰ قوله: (**وَيُؤْمِنُ أَهْلُ الدِّينِ وَالسُّنَّةِ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ**)؛ لأنه حتىٰ اليهود والنصارىٰ يؤمنون بالبعث! وضُلاّل المسلمين كذلك يؤمنون بالبعث، ولكن يخالفون في قضايا ممّا يتعلق فيما بعد البعث وما قبله.

فالإيمان بالبعث وردت فيه آيات كثيرة وأحاديث كثيرة؛ يخبر الله -تبارك وتعالىٰ- فيها عن إحياء الناس بعد موتهم وبعثهم من القبور ليجازيهم علىٰ ما قدموا في هذه الحياة؛ لأن الله -تبارك وتعالىٰ- لم يخلق الناس عبثًا ولا تركهم هملًا وسدىٰ، وإنما خلقهم لحكم عظيمة منها: أن يعبدوه، ومنها: أن يبعثهم لإقامة العدل فيما بينهم وتقرير مصير من يستحق الجنة ومن يستحق النار؛ من يدخل النار خالدًا فيها مخلدًا أبدًا، ومن يخرج منها بما عنده من التوحيد.

والله -تبارك وتعالىٰ- يقول: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ

مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ
كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ
رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا
هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ [القارعة:١-١١].

القارعة هي القيامة التي يبعث الله فيها الناس: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ تهويل لأمرها؛ أمر عظيم: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾.

ثم قال: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾، تصور ضعف الناس وخوفهم وهلعهم، ويذهبون شتىٰ لا يلتفت الأب إلىٰ ابنه، ولا الابن إلىٰ أبيه ولا يلتفت إلىٰ عشيرته بل: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [المعارج: ١١-١٤] يوم رهيب ويوم عظيم؛ حتىٰ إنّ الأنبياء يقولون فيه - من شدة هوله -: نفسي، نفسي؛ وأولو العزم كل واحد منهم يقول: «**إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**»(١)؛ يوم رهيب لاشك كما ذكر المؤلف.

ويقول سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة: ١-٧]، ثم ذكر أصحاب اليمين وذكر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (التفسير) (رقم: ٤٧١٢)، ومسلم في كتاب (الإيمان) (رقم: ١٩٤).

السابقين وذكر أصحاب الشمال والعياذ بالله.

فقوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ يعني: القيامة؛ يوم يبعث الله الناس، ثم قال: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ اضطربت الأرض، وتضطرب السماء: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩]، أهوال فيها ذعر وفيها خوف وفيها أهوال؛ كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[الحج: ١-٢].

آيات كثيرة جدًّا تتحدَّث عن البعث وما فيه من أهوال وما فيه من أمور عظيمة؛ تواتر ذكرها في القرآن والسنة؛ ولهذا يقول المصنف: (وَيُؤْمِنُ أَهْلُ الدِّينِ وَالسُّنَّةِ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبِكُلِّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَرَسُولُهُ ﷺ)؛ فكل ما ورد في الكتاب والسنة فيما يتعلق بالبعث وما بعده يجب الإيمان به؛ لأن الله أخبر بذلك، ورسول الله أخبرنا بذلك، ولا نكون مؤمنين إلا إذا آمنا بأخبار الله وصدَّقناها وآمنا بأخبار رسول الله وصدقناها، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[النساء: ٨٧]، وقال في وصف رسوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]".

١٧ وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ فِي مَشِيئَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

الشرح

يعني: المؤمن إذا وقع في معاصٍ فهو تحت مشيئة الله سبحانه وتعالىٰ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ سبحانه وتعالىٰ، وهو تحت مشيئة الله، هذا العاصي إن شاء الله عفا عنه وأدخله الجنة بدون عذاب، وإن شاء أدخله النار بعدله وبقدر ما يستحق من العقوبة تحت مشيئة الله سبحانه وتعالىٰ.

هذا بخلاف ما يقوله الخوارج، فإنهم يجزمون بأن أصحاب المعاصي ولو كبيرة واحدة مات مصرًا عليها فهو في النار خالدًا فيها مخلدًا أبدًا، ويوافقهم المعتزلة في خلوده في النار، ويقولون: إنه في الدنيا في منزلة بين المنزلتين.

أما الخوارج فيقطعون بكفر مرتكب الكبيرة ويستحلون دمه وماله ويحكمون عليه بالخلود في النار.(١)

ويتمسكون ببعض المتشابهات، والله -تبارك وتعالىٰ- يقول: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا

(١) انظر "مقالات الإسلاميين" (ص:٨٦ و ٢٦٩)، و"وسطية أهل السنة بين الفرق" (١/ ٣٣٩).

ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[آل عمران:٧]، ولا ينظرون إلىٰ الآيات والأحاديث الأخر التي تبين أن ارتكاب الكبائر مع الإيمان بالله -عز وجل- وبرسوله وبكتابه و.. و.. إلىٰ آخره، مع ارتكاب الكبائر لا يخرج المرء من الإسلام.

هو مؤمن ناقص الإيمان، مؤمن بإيمانه عاصٍ بكبيرته، مؤمن ناقص الإيمان لا نقول عنه: إنه مؤمن كامل الإيمان، ما نعطيه الإيمان المطلق، وإنما يدخل في مطلق الإيمان، فنقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، ما نقول: مؤمن ونسكت، نقول: مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه ناقص إيمانه بمعصيته.

ومن الأدلة علىٰ ذلك أحاديث الشفاعة: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ...**».[١]

أولًا: يخرج المصلون بسبب إيمانهم وصلاتهم وعبادتهم وعندهم كبائر أوجبت دخولهم النار، فيخرجهم الله -تبارك وتعالىٰ- بالشفاعة وبتوحيدهم وبما عندهم من الصلاة والعمل، يؤدبهم بالذنوب التي ارتكبوها والكبائر التي وقعوا فيها، ويخرجهم بإيمانهم وما عندهم من العمل.

ثم يُخرج الله -تبارك وتعالىٰ- بشفاعة الشفعاء من الأنبياء، والمؤمنين، والشهداء، مَنْ في قلبه مقدار دينار من إيمان، من في قلبه مقدار نصف دينار من إيمان، من في قلبه مثقال درهم من إيمان، من عنده مثقال نصف درهم

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢٤).

من عنده مثقال ذرة من عنده أدنىٰ من مثقال ذرة من إيمان، هذا بفضل الله ثم بفضل توحيد الله سبحانه وتعالىٰ.

هذا يدل عليه-حديث أبي سعيد وحديث أنس في خروج الناس من النار بأدنىٰ أدنىٰ أدْنىٰ مثقال ذرة من الإيمان[(١)]، هذا يبين فضل التوحيد، وهذا يرد علىٰ الخوارج وعلىٰ المعتزلة الذين يقولون بخلود أهل الكبائر في النار.

وكذلك، قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الحجرات:٩-١٠].

اقتتلوا حصل بينهم قتال سفك دماء ما شاكل ذلك هذا من أكبر الكبائر، مع ذلك أطلق الله -سبحانه وتعالىٰ- عليهم أنهم إخوة؛ من الأخوة في الإيمان، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[الحجرات:١٠].

كذلك السارق يقام عليه الحد، ولو كان كافرًا لقُتِل، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوه»[(٢)]، فإقامة الحدود علىٰ السارق، والزاني، والقاتل، وشارب الخمر وما شاكل ذلك من الكبائر، إقامة الحدود عليهم تدل علىٰ

(١) انظر البخاري كتاب الإيمان رقم (٢٢)، ومسلم كتاب الإيمان رقم (١٩٣)، وانظر كتاب "الشفاعة" (ص:١٩، وما بعدها) للشيخ العلامة مقبل الوادعي رحمه الله.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب (الجهاد والسير) (رقم: ٣٠١٧).

أنهم ليسوا بكفار إنما هم مؤمنون عصاة، من أجل ذلك أقيمت عليهم الحدود، ولو كان ارتكاب الكبائر يخرج الإنسان من الإسلام لأمر الله بقتلهم، ولأمر رسول الله -عليه الصلاة والسلام- بقتلهم.

هذه كلها ترد علىٰ مذهب الخوارج الغلاة وتبين بطلان ما ذهبوا إليه من التكفير بالكبائر، وأن مرتكب الكبائر تحت مشيئة الله، إن شاء عفا الله عنه، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه، ثم يخرج من النار بشفاعة الشافعين من الرسول ﷺ، والأنبياء، والشهداء، والصديقين، والصالحين، ثم بفضل رحمته سبحانه وتعالىٰ.(١)

---

(١) انظر "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٦/ ٣٥٤)، و"شرح عقيدة السلف أصحاب الحديث" (٢٧٦) للشيخ ربيع حفظه الله.

١٨ وَلا نُكَفِّرُ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِذُنُوبِهِمْ، وَنَكِلُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

الشرح

هذا رد على الخوارج كما ذكرنا.

(وَنَكِلُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ عَزّ وَجَلّ).

لنا الظاهر، هو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويصلي ويقع في الكبائر، في زنا، في شرب الخمر، فيما شاكل ذلك لا نكفره ونكل سريرته إلى الله؛ لأنه قد يكون منافقًا، لكن نحن لا نحكم عليه بالنفاق ونجزم، إنما نأخذ بالظاهر ونعامله معاملة المسلمين في التوارث وغيره.(١)

(١) انظر "شرح العقيدة الطحاوية" (٢/ ٤٣٢) لابن أبي العز الحنفي رحمه الله، و"شرح عقيدة السلف أصحاب الحديث" (٢٧٦) للشيخ ربيع حفظه الله.

١٩ وَنُقِيمُ فَرْضَ الْجِهَادِ وَالْحَجِّ مَعَ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَزَمَانٍ.

الشرح

لأن الحج لابد أن يكون تحت إشراف إمام من أئمة المسلمين، والجهاد لابد أن يكون بقيادة إمام من أئمة الإسلام، وليس الأمر فوضىٰ، فنحج معهم، ونصلي وراءهم، وإذا أعلنوا النفير ننفر، إذا أعلن يوم عرفات نحج معهم ونتابعهم في هذه الأشياء.

جاء شخص سأل أنس بن مالك: متىٰ النفر؟، قال: النفر بعد الظهر، رسول الله ﷺ صلىٰ بعد الظهر ونفر، ولكن عليك أن تكون مع إمامك، كن مع إمامك لأن هذا فهم منه أنه لا يخالف الإمام، فإذا نفر الإمام فانفر معه.[1]

يقول: (فِي كُلِّ دَهْرٍ وَزَمَانٍ)، يعني: ما دام الإسلام وبقي المسلمون ولهم أئمة فنحن نحج معهم ونجاهد معهم ما بقي الإسلام وما بقي المسلمون في كل دهر وزمان.

---

(١) أخرج البخاري في كتاب (الحج) (رقم: ١٦٥٣و١٦٥٤)، ومسلم في كتاب (الحج) (رقم: ١٣٠٩) عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه قُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ عَقَلْتَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَيْنَ صَلَّىٰ الظُّهْرَ وَالعَصْرَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ؟ قَالَ: بِمِنًى. قُلْتُ: فَأَيْنَ صَلَّىٰ العَصْرَ يَوْمَ النَّفْرِ؟ قَالَ: بِالأَبْطَحِ. ثُمَّ قَالَ: افْعَلْ كَمَا يَفْعَلُ أُمَرَاؤُكَ.

٢٠ وَلا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى الأَئِمَّةِ وَلا الْقِتَالَ فِي الْفِتْنَةِ، وَنَسْمَعُ وَنُطِيعُ لِمَنْ وَلاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمْرَنَا وَلا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ.

الشرح

الخوارج يرون الخروج علىٰ الأئمة[(١)]، يعني: إذا كانوا يكفِّرون بالكبيرة فهم يكفِّرون الإمام إذا خالف -وقع في معصية- أجازوا الخروج عليه، فيخرجون يسفكون الدماء، وينتهكون الأعراض، ويستبيحون أخذ أموال المسلمين وسبي ذراريهم إلىٰ آخر مخازيهم[(٢)] التي وقعوا فيها بسبب هواهم

(١) انظر "الفرق بين الفرق" (٧٣)، و"الملل والنحل" (١/ ٩١).

(٢) قال الإمام الآجري رحمه الله في "الشريعة" (١/ ١٣٦ - ١٣٨): "لَمْ يَخْتَلِفِ الْعُلَمَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا أَنَّ الْخَوَارِجَ قَوْمُ سُوءٍ عُصَاةٌ لِلَّهِ تَعَالَىٰ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَإِنْ صَلَّوْا وَصَامُوا، وَاجْتَهَدُوا فِي الْعِبَادَةِ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنَافِعٍ لَهُمْ، نَعَمْ وَيُظْهِرُونَ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِنَافِعٍ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ يَتَأَوَّلُونَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ مَا يَهْوُونَ، وَيُمَوِّهُونَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ حَذَّرَنَا اللَّهُ تَعَالَىٰ مِنْهُمْ، وَحَذَّرَنَا النَّبِيُّ ﷺ، وَحَذَّرَنَاهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ بَعْدَهُ، وَحَذَّرَنَاهُمُ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَالْخَوَارِجُ هُمُ الشُّرَاةُ الأَنْجَاسُ الأَرْجَاسُ، وَمَنْ كَانَ عَلَىٰ مَذْهَبِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْخَوَارِجِ يَتَوَارَثُونَ هَذَا الْمَذْهَبَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَيَخْرُجُونَ عَلَىٰ الأَئِمَّةِ وَالأُمَرَاءِ وَيَسْتَحِلُّونَ قَتْلَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَوَّلُ قَرْنٍ طَلَعَ مِنْهُمْ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: هُوَ رَجُلٌ طَعَنَ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يَقْسِمُ الْغَنَائِمَ، فَقَالَ: اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ، فَمَا أَرَاكَ تَعْدِلُ، فَقَالَ ﷺ: **«وَيْلَكَ، فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟»** فَأَرَادَ عُمَرُ رضي الله عنه قَتْلَهُ، فَمَنَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ قَتْلِهِ وَأَخْبَرَ: **«أَنَّ هَذَا وَأَصْحَابًا لَهُ يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاتَهُ مَعَ صَلاتِهِ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ»** وَأَمَرَ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ بِقِتَالِهِمْ، وَبَيَّنَ فَضْلَ مَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ، ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ خَرَجُوا مِنْ بُلْدَانٍ شَتَّىٰ، وَاجْتَمَعُوا وَأَظْهَرُوا الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّىٰ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، فَقَتَلُوا عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه، وَقَدِ اجْتَهَدَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِمَّنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ فِي أَنْ لا يُقْتَلَ عُثْمَانُ، فَمَا أَطَاقُوا عَلَىٰ ذَلِكَ رضي الله عنهم ثُمَّ خَرَجُوا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَلَمْ يَرْضَوْا بِحُكْمِهِ، وَأَظْهَرُوا قَوْلَهُمْ وَقَالُوا: لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: كَلِمَةُ حَقٍّ أَرَادُوا بِهَا الْبَاطِلَ، فَقَاتَلَهُمْ عَلِيٌّ رضي الله عنه فَأَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِقَتْلِهِمْ، وَأَخْبَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِفَضْلِ مَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ، وَقَاتَلَ مَعَهُ الصَّحَابَةُ فَصَارَ سَيْفُ عَلِيٍّ رضي الله عنه فِي الْخَوَارِجِ سَيْفَ حَقٍّ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ".اهـ

وبسبب خلافهم لمنهج الله -تبارك وتعالىٰ-، ولما قرره الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وقرره القرآن، وسار عليه العلماء وسار عليه الخلفاء الراشدون.

خالفوا هذا بأهوائهم، فأثخنوا في الأمة، ومزقوهم شر ممزق، وتلاحقت البدع بعد ذلك، هم فتحوا هذا الباب؛ لهذا أمر الرسول ﷺ بقتلهم **«اقْتُلُوْهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُّمُوْهُمْ»**[1]، **«هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيْقَةِ»**[2]، **«أينما وجدتموهم فاقتلوهم»**، **«يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»**، فهذه طريقة الخوارج في كل زمان ومكان، دائمًا يدعون إلىٰ سفك الدماء، وإلىٰ الخروج علىٰ حكام المسلمين.

أما الشريعة ففيها الحكمة، وفيها مراعاة المصالح، وفيها درء المفاسد، فإن الخروج علىٰ الأئمة فيه مفاسد عظيمة جدًّا؛ ولهذا رسول الله ﷺ أطلعه الله علىٰ ما سيحدث للأمة من انحراف في الحكام وفي غيرهم، تحدث عن الفرق أنها ستفترق إلىٰ ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة[3]، تحدث عن الحكام أطلعه الله -سبحانه وتعالىٰ-، هذا من معجزاته.

---

(١) أخرج البخاري في كتاب (استتابة المرتدين) (٦٩٣٠)، ومسلم في كتاب (الزكاة) (١٠٦٦) عن سويد بن غفلة: قال عليٌّ رضي الله عنه: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ حديثًا، فوالله لأن أَخِرَّ من السَّماء، أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم، فإن الحرب خدعة، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب (الزكاة) (رقم: ١٠٦٤ و ١٠٦٧).

(٣) **صحيح**، أخرجه أبو داود في كتاب (السنة) (رقم:٤٥٩٦و ٤٥٩٧)، وابن ماجه في كتاب (الفتن) (٣٩٩٢ و٣٩٩٣)، وانظر "الصحيحة" (١/ ٤٠٤، رقم: ٢٠٤).

أطلعه الله علىٰ ما سيكون في هذه الأمة من بدع وسياسات منحرفة وما شاكل ذلك، ولكن رسول الله ﷺ يراعي المصلحة الكبرىٰ، ويدفع الفتنة الكبرىٰ عن المسلمين وعن دمائهم وعن أعراضهم وعن أموالهم.

الله أمر بتغيير المنكر: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤]، ومع ذلك فالحاكم شأنه شأن آخر؛ لأن تغيير منكره يترتب عليه مفسدة أكبر وأكبر وأكبر من المفسدة التي هو واقع فيها، والتي تريد أن تستريح منها أو أن تزيلها، تقع في مفسدة أكبر وأكبر من الفوضىٰ وسفك الدماء وانتهاك الأعراض وسلب الأموال وما شاكل ذلك.

أمر بالصبر -عليه الصلاة والسلام-، قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: «**أَنْ بَايَعَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»(١)، الكفر البواح لا يحتمل التأويل، ولا يقبل تأويلًا، واضح كالشمس، فحينئذ للمسلمين أن يخرجوا علىٰ هذا الحاكم الذي وقع في الكفر الواضح، بشرط أن لا يكون في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الفتن) (رقم:٧٠٥٥ و٧٠٥٦)، ومسلم في كتاب (الإمارة) (رقم: ١٧٠٩).

خروجهم مفسدة أكبر من بقاء هذا الحاكم الكافر.

لأنه قد يخرج بعض الناس والضعفاء فيفتك بهم فيضيع الدِّين والدُّنيا فتكون مفسدة أكبر، فلا نخرج إلا إذا اطمأننَّا إذا كان كافرًا اطمأننَّا علىٰ أن المصلحة في الخروج، وأننا سنسقطه بسهولة دون سفك دماء ودون انتهاك أعراض ودون مفاسد.

أما إذا بقي في دائرة الإسلام؛ تروي أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن الرسول ﷺ قال: «**إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟، قَالَ: «**لَا، مَا صَلَّوْا**»[(١)]، ما دام يصلي فلا يجوز الخروج عليه، ما قال: لا ما أقاموا الصلاة، قال: «**لَا، مَا صَلَّوْا**»، ما دام يصلي ظاهره الإسلام وأنه في دائرة الإسلام، فلا يجوز الخروج عليه، لأن الخروج يؤدي إلىٰ سفك الدماء، وانتهاك الأعراض، وما استفاد الناس من الخروج علىٰ الحكام أبدًا.

خروج أهل المدينة علىٰ يزيد ترتب عليه مفسدة عظيمة، خروجهم علىٰ بني أمية وعلىٰ بني العباس ما ترتب عليه إلا الفساد والهلاك والدمار، فلم يستفد المسلمون من هذه الخروجات أبدًا، ودائمًا تأتي مفاسدها أكبر وأكبر وأكبر وأشد من مصالحها.

واعتبِروا بالصومال كان حاكمهم فاسقًا فاجرًا، فخرجوا عليه فاستمروا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب (الإمارة) (رقم: ١٨٥٤).

في دوامة من الفتن والدماء إلىٰ يومنا هذا، صدَّام الفاجر البعثي الخبيث انظروا لَمَّا أُسقط ماذا يحصل في العراق إلىٰ يومنا هذا؟، وماذا سيحصل علىٰ هؤلاء الذين يتظاهرون الآن؟، ما الذي سيترتب علىٰ أعمالهم الآن؟، والله أنا آسف، آسفٌ الأسف الشديد أنه لا ذكر للإسلام في هذه المظاهرات كلها.

وبعض الكتَّاب يحكي الإجماع علىٰ هذه الديمقراطية، ينطلقون من الديمقراطية، المطالب الشعبية كلها تنطلق من الديمقراطية، ليس فيها مطلب إسلامي أبدًا -والعياذ بالله-، والحكام حلولهم ديمقراطية فيا ضيعة الإسلام.

نسأل الله -تبارك وتعالىٰ- أن يهيئ لهذه البلدان علماء ناصحين يقودونهم بكتاب الله وسنة رسول الله، وأن يهيئ لهم حكامًا صالحين ناصحين يحكمون بشريعة الله -تبارك وتعالىٰ- بكتاب الله وبسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾[يوسف:٤٠]، الحكم لله وحده، ربنا -سبحانه وتعالىٰ- الذي خلقنا، وخلق الأرض، وخلق السماء، وأمدك بالنيل، وأمدك بالأنهار، والجنان وكل شيء وتنساه وتنسىٰ تشريعاته وتتعلق بتشريعات اليهود والنصارىٰ؟!، ما أحد قال، حتىٰ صوت الخوارج موجود عندهم مع الأسف الشديد، نحن نذم الخوارج ونذم خروجهم ونحاربهم

لكن هؤلاء تحت الخوارج، مطالبهم تحت مطالب الخوارج بدرجات ودرجات مع الأسف الشديد.

فنحن ننصح المسلمين حكامًا ومحكومين أن يعودوا إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-، أن يعودوا إلىٰ كتاب الله -عز وجل-، ويكون لا همَّ لهم إلا الالتزام بالشريعة وتطبيق هذه الشريعة الغراء، تطبيق نصوص هذا الكتاب الذي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾[فصلت:٤٢]، فالسعادة كل السعادة في التزامها وتطبيقها وتطبيق سنة محمد ﷺ، والهلاك والدمار والشرور والفتن والمحن كلها تنصب علىٰ من يخرج عنهما.

ونسأل الله أن يهيئ للمسلمين حكامًا ناصحين؛ لأن الحاكم إذا لم ينصح للأمة لا يجد رائحة الجنة، الحاكم يجب عليه أن ينصح، ومن نصحه للأمة أن يطبق فيهم أحكام الله، وينفِّذ فيهم شريعة الله، ويربي الأبناء والأجيال والجيوش علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، هذا الذي يجب علىٰ المسلمين.

الله الذي خلقكم وبوأكم هذه الأرض -الأرض التي فتحت بالإسلام-، مصر فتحت بالإسلام، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، الشرق الغرب، العراق خراسان كلها فتحت بكتاب الله وبسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

كيف ينسىٰ كتاب الله وسنة الرسول ﷺ؟ كيف ينسىٰ الله؟ كيف تنسىٰ

أحكامه سبحانه؟

الحكم له وحده -سبحانه وتعالىٰ-، ليس لأحد حاكمية مع الله تبارك وتعالىٰ، فنسأل الله العافية.

علىٰ كل حال الخروج لا يجوز؛ لأنه يترتب عليه مفاسد لا أول لها ولا آخر، والتأريخ يدل علىٰ هذا، والواقع الذي عاصرناه وعايشناه يدل علىٰ هذا، فالأمور تعالج بالحكمة.

فعلىٰ هؤلاء أن يذهب العقلاء إلىٰ الحاكم ويذكّروه بالله، ويخوّفوه بالله، ويقولون له: والله نريد الإسلام، ولا نريد الديمقراطية.

الديمقراطية كفر بالله وشريعته، وفيها مفاسد كثيرة، بعضهم عدّها حوالي خمسين مفسدة أو تزيد.

أنا رددت علىٰ عبد الرحمن عبد الخالق وبينت له مفاسد الديمقراطية، قال: أنا أزيدكم علىٰ فساد مبادئ الديمقراطية تزيد علىٰ مائة وخمسين مفسدة.

فقلت: إذا كانت تزيد علىٰ مائة وخمسين مفسدة فمن أكبر مفسدة، هي أم الشرك؟ هي أم الخبائث الآن؟

وليس فيها عدل أبدًا، أول ما يسقطون حق الله وحق رسوله وحق كتابه وحق الإسلام، أين العدل.

ثم المطالبة بالحرية، الحرية تدين بما شئت، كن يهوديًا كن نصرانيًا كن

شيوعيًّا كن بعثيًّا كن ما شئت، البس ما شئت، امش عاريًا، كن زانيًا سارقًا تعامل بالربا، أين العدل؟، كلها ظلم وظلمات بعضها فوق بعض، فكيف يطالب المسلمون بالديمقراطية والحرية.

(وَلا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى الأَئِمَّةِ).

الأئمة لا نُجيز الخروج عليهم؛ لأن الله -تبارك وتعالىٰ- أمرنا بطاعتهم: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٩].

وأولو الأمر: هم العلماء والحكام؛ فيجب علىٰ الناس أن يطيعوهم في طاعة الله، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ونطيعهم في طاعة الله ولا نرىٰ الخروج عليهم أبدًا، الخروج عليهم ضلال وفتنة وهو من منهج الخوارج لا من منهج أهل السنة، فما دام ولي الأمر مؤمنًا بالله ليس كافرًا ولا مشركًا به، ما دام يصلي لا يجوز الخروج عليه مهما بلغ من الجور، تجب طاعتهم «**مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ**».

وفي حديث أم سلمة ﵂: «**إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟، قَالَ: «**لَا، مَا صَلَّوْا**».

وفي حديث عبادة بن الصامت ﵁: «**بَايَعَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ**

تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»، إذا رأيت الكفر البواح الواضح حينئذٍ يجوز أن تنزع يدك من طاعته وأن تسقطه لكن بشرط أن يحقق هذا خيرًا ويدفع شرًا، أما أن يجلب فتنًا ودماءً ومشاكل ومفاسد أكبر من المفسدة التي تأتي من هذا الحاكم المنحرف فلا يجوز الخروج عليه.

(وَلا الْقِتَالَ فِي الْفِتْنَةِ).

هذه مسألة: القتال في الفتن لا يجوز، فيها أحاديث كثيرة تأمر بكسر السيوف والقسي والأوتار والجلوس في البيوت؛ لأن هذا القتال إنما هو للدنيا ليس لله -عز وجل-، التصادم الذي يحصل بين الناس في الفتن هذه ليس لله -عز وجل- فلا تدخل فيه؛ لأن هذا الصراع الذي يجري بين الناس إنما هو لأجل الدنيا لا لوجه الله -عز وجل-، فلا تدخل في هذه الفتن، قال أبو برزة رضي الله عنه أيام القتال في عهد ابن الزبير ومروان قال: "والله إن هؤلاء لم يقتتلوا إلا للدنيا"، وما دخل في هذه القضية، ابن عمر رضي الله عنهما ما دخل في هذه المعارك كلِّها، محمد بن مسلمة وغيرهم ما دخلوا في هذه الفتن؛ لأن عندهم توجيهات نبوية بالبعد عن الفتن وعدم الدخول فيها.

(وَنَسْمَعُ وَنُطِيعُ لِمَنْ وَلاهُ اللهُ عَزّ وَجَلّ أَمْرَنَا).

لأن الله أمرنا بطاعتهم: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾.

(وَلا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ).

كما بينت الأحاديث الأُخر، لا ننزع يدًا من طاعة؛ إلا إذا رأينا الكفر البواح، ثم لا نخرج إلا إذا كان عندنا ما يطمئننا علىٰ أن لا تسفك دماء، ولا تربو هذه المفسدة علىٰ مفسدة وجود هذا الحاكم الكافر إذا كان كافرًا.

٢١ وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ.

الشرح

نحن ندعو إلىٰ الكتاب والسنة: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ندعو الأمة كلها إلىٰ الاعتصام بكتاب الله وسنة رسول الله، ندعوهم إلىٰ اتباع رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، نبين لهم أن الله حرم التفرق: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٣٢﴾ [الروم: ٣١ - ٣٢]، ونقرأ هذه الآيات موقنين بها نرىٰ أن علىٰ الأمة أن تجتمع وتعتصم بحبل الله.

ونرىٰ أنه لا يجوز هذه التفرق الذي حصل في الأمة إلىٰ اثنتين وسبعين فرقة، وأنه حرام مصادم لنصوص كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

قال رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١).

فنتبع السنة والجماعة ونكون مع جماعة المسلمين ولا نخرج علىٰ جماعة الإسلام، ولا نفارقهم بقول، ولا بعقيدة، ولا بعمل، لا نتعاطىٰ الأسباب

(١) تقدم تخريجه (ص ٥٢) حاشية رقم (٣).

التي تؤدي إلىٰ الفرقة، لكن مع الأسف كثير من الناس يقعون في الفرقة ويسعون في تشتيت الأمة وفي تمزيقها مع الأسف الشديد، لكن منهج أهل السنة والجماعة ضد هذه الأساليب كلها.

وعن أَبِي إِدْرِيسَ الخَوْلاَنِيّ، أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نعَمْ**» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ**» قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «**قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نعَمْ، دُعَاةٌ إِلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: «**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّىٰ يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ**»(١).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (المناقب) (رقم: ٣٦٠٦)، ومسلم في كتاب (الإمارة) (رقم: ١٨٤٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب (الفتن) (رقم: ٧٠٥٤)، ومسلم في كتاب (الإمارة) (رقم: ١٨٤٩).

فحذارِ من التفرق والشذوذ والخروج عن الجماعة -والجماعة ما كان عليه رسول الله وأصحابه- بأي حال من الأحوال في عقيدة في منهج، في العبادة، في السياسة، وهذا أمر يلزم الأمة كلها علماء وحكامًا ومحكومين.

نسأل الله أن يجمع الأمة علىٰ كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ؛ فإن في ذلك السعادة والعزة في الدنيا والآخرة.

فأين المبادرون إلىٰ تحقيق هذه الغاية الشريفة العظيمة؟!.

٢٢ وَأَنَّ الجِهَادَ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ -نَبِيَّهُ- عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ- إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ مَعَ أُولِي الأَمْرِ مِنْ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ لَا يُبْطِلُهُ شَيْءٌ، وَالحَجُّ كَذَلِكَ، وَدَفْعُ الصَّدَقَاتِ مِنَ السَّوائِمِ إِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ.

الشرح

(وَأَنَّ الجِهَادَ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- نَبِيَّهُ -عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ- إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ).

شرع الله الجهاد في آيات كثيرة، وأحاديث كثيرة، وألفت في ذلك الكتب[١]، وهناك دعوات الآن عملية وقولية إلىٰ إسقاط الجهاد في سبيل الله، جهاد الدعوة والطلب من الكفار أن يدخلوا في الإسلام هذا أمر لا ينقطع إلىٰ قيام الساعة.

لكن مع الأسف انحرف معظم المسلمين عن منهج الله الحق في عقائدهم، وعباداتهم، وأعمالهم، وكثير من شؤون دينهم ودنياهم، فعطلوا الجهاد، اشتغلوا بالدنيا وتركوا الجهاد فسلط الله عليهم ذلًا لا ينزعه عنهم حتىٰ يرجعوا إلىٰ دينهم، علىٰ الحكام جميعًا وعلىٰ الشعوب جميعًا أن يرجعوا

---

(١) انظر "السبيل الهاد إلىٰ تخريج أحاديث كتاب الجهاد" (١١٠) لشيخنا مساعد بن سليمان الراشد - حفظه الله- فقد ذكر أسماء الكتب المصنفة في الجهاد، فانظره غير مأمور.

إلىٰ دين الله الحق حتىٰ يخرجوا من دوامة الذل، أن يرجعوا إلىٰ دين الله الحق فيستأنفوا مكانتهم، ويستأنفوا قوتهم، ثم يواصلون الجهاد في سبيل الله لأن الجهاد لم ينقطع إلىٰ يوم القيامة.

الآن ناس يؤيدون الحكام ضد الشعوب، وناس يؤيدون الشعوب ضد الحكام، ونحن ندعو الحكام والشعوب أن يتقوا الله وأن يتمسكوا بالإسلام؛ لأن الشعوب فيها ضلال، عندها تجهم، عندها اعتزال، عندها خروج، عندها رفض، عندها بلايا -قبور، مشاكل لا أول لها ولا آخر-، يصدق عليهم الحديث: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ**»(١).

فهم يعيشون في هذه الدوامة، ويتلقون الأوامر من أوروبا وأمريكا، أكثر الشعوب وأكثر الحكام علىٰ هذا الوضع، يتلقون الأوامر والتوجيهات والمبادئ والأصول والمناهج، يتلقونها من أعداء الله، ما ذلوا في أنفسهم فقط بل زادوا علىٰ هذا الذل والهوان أن يعيشوا علىٰ أفكار أوروبا وأمريكا واليهود والنصارىٰ شعوبًا وحكامًا إلَّا من سلَّم الله.

وإذلال الحكام الظلمة للشعوب منطلق من مبادئ اليهود والنصارىٰ، ولاستنجاد الشعوب ومحاولة إنقاذها من هذا الذل والهوان بمبادئ أوروبا وأمريكا، ما يلجؤون إلىٰ الله -سبحانه وتعالىٰ-، لا يرجعون إلىٰ دينهم الحق

---

(١) **صحيح**، أخرجه أبو داود في كتاب (البيوع) (رقم: ٣٤٦٢)، وانظر: "الصحيحة" (١/ ٤٢، رقم: ١١).

لا في عقائدهم ولا في عباداتهم ولا في سياستهم ولا في شيء.

وقد وجهنا نداءات كثيرة للجميع(١) -للحكام والشعوب- جميعًا أن يعودوا إلىٰ دين الله الحق، ويحكّموا شريعة الله -تبارك وتعالىٰ-، في دينهم ودنياهم، ألوف القبور تُعبَد من دون الله، هذا ليس منكرا عند الدعاة السياسيين! قامت دعوات من أكثر من ثمانين سنة كلها تدور في السياسة وتحوي في تنظيماتها الروافض والقبوريين والخرافيين والعلمانيين وكل شيء، ومع ذلك يحاربون المنهج السلفي وأهله.

نحن ندعو إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-، اليهود والنصارىٰ أن يدخلوا في الإسلام دين الحق ونحذرهم غضب الله وعقابه لهم بالنار خالدين فيها أبداً إن لم يؤمنوا بالإسلام ويتخذونه دينا، وندعو الحكام(٢) والمحكومين والشعوب ندعوهم إلىٰ الرجوع إلىٰ الله، إلىٰ الخضوع لله، إلىٰ عبادة الله وحده، إلىٰ إخلاص الدين لله وحده -سبحانه وتعالىٰ- لا شريك له إلىٰ أن يكونوا قوامين بالقسط ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

---

(١) ومن تلك النداءات: "دعوة جادة إلىٰ العالم الإسلامي لتطبيق ما صرح به الرئيس المصري حسني مبارك في المؤتمر الإسلامي"، و"نصيحة ودعوة للبابوات إلىٰ الإسلام"، و"توجيهات عامة للشباب وواجبهم نحو الدعوة"، وغيرها من النداءات الصادقة والواضحة من شيخنا -حفظه الله من كل سوء- تجدها في مجموع مؤلفاته وفي موقعه الالكتروني.

(٢) انظر "ضوابط معاملة الحاكم عند أهل السنة والجماعة وأثرها علىٰ الأمة" للدكتور خالد بن ضحوي الظفيري -حفظه الله- فقد أجاد وأفاد وبين منهج أهل السنة والجماعة بيانًا شافيًا وفنَّد شبهات أهل البدع والفساد فجزاه الله خيرًا.

إنَّ أيَّ دعوة لم تقم علىٰ هذا الأصل الذي قامت عليه دعوات الأنبياء جميعًا دعوة فاسدة فاجرة تسعىٰ في الأرض بالفساد، ولا تريد للأمة خيرًا، ولو أرادت للأمة خيرًا لاجتهدت وبذلت كل جهودها لإصلاح عقائدها حتىٰ يلقىٰ المسلم ربه موحدًا لله مخلصًا له الدين.

أمَّا أن يربُت علىٰ أكتاف الروافض وعلىٰ أكتاف الصوفية القبورية وعلىٰ الخرافات والبدع والضلالات، ويضم إلىٰ ذلك أفكار غربية -يضيفها إلىٰ هذه الضلالات- ويقول: نحن مسلمون وفي سلامة! فهذا هو الضلال البعيد.

دعوات الأنبياء كلها إلىٰ التوحيد، وإلىٰ إخلاص الدين لله، والرسول - عليه الصلاة والسلام - أقام ثلاثة عشر سنة في مكة يدعو إلىٰ التوحيد فقط، إلىٰ السَّنة العاشرة فرضت الصلاة عليه -عليه الصلاة والسلام- وعلىٰ أمته، واستمر إلىٰ نهاية حياته وهو يدعو إلىٰ التوحيد، تنزل الآيات وتأتي التوجيهات منه ﷺ توجيهات الأمة إلىٰ توحيد الله، وهو يلفظ أنفاسه -عند نفسه الأخير- يقول: «**لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَىٰ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»(١) يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا.

والذي يبني المساجد علىٰ القبور يستحق هذه اللعنات، والذي يعبد

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الصلاة) (رقم:٤٣٥ و٤٣٦)، ومسلم في كتاب (المساجد ومواضع الصلاة) (رقم:٥٣١).

القبور يستحق هذه اللعنات أكثر، فأين الدعوة الصحيحة السائرة علىٰ طريقة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-؟، لا تجد هذا إلا في المنهج السلفي، وكل الطوائف يحاربون هذا المنهج، وكل الطوائف الفاجرة الضالة المنحرفة -انحرافًا سياسيًا وعقائديًا ومنهجيًا- يحاربون هذا المنهج، والإسلام الحق والله في غاية الغربة، الإسلام الحق في غاية الغربة خاصة في غير هذا البلد -كل البلدان الإسلامية- بدون استثناء، كلها الإسلام الحق في غاية الغربة، وأهل السنة فيها قليلون ومضطهدون.

فنحن ندعو هؤلاء الدعاة، هم بحاجة إلىٰ الدعوة قبل الشعوب الأخرىٰ، يحتاجون إلىٰ من يعلمهم دين الله الحق، لكن هم لا يريدون هذا، والله هؤلاء الدعاة يدعون إلىٰ وحدة الأديان -كبراؤهم- والصغار يقدسونهم، يدعون إلىٰ وحدة الأديان وحرية الأديان وأخوة الأديان ومساواة الأديان ويخضعون للشرق والغرب ويتبنون الفكر الديمقراطي الاشتراكي.

يقولون: (الديمقراطية روح الإسلام)، يقولها القرضاوي ويجامل وينافق للحكام، ينافقون للحكام، ينافقون في ليبيا، وينافقون في الجزائر، وينافقون في كل مكان، في كل مكان ينافقون، فإذا جاء صراع بين الشعوب وبين الحكام هَبُّوا ضد الحكام، عندهم تلاعب، عندهم حيل.

انْصَح الحاكم وانصح المحكوم، وادعُ الحاكمَ والمحكوم إلىٰ توحيد الله قبل كل شيء، وإلىٰ إخلاص الدين له.

والله لو أقام الحكام توحيد الله وعرفوا توحيد الله، وعرفوا منهج الله الحق؛ لعدلوا في أمتهم واجتهدوا في نشر الإسلام بالدعوة إليه والجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله.

لكن الحكام لا يعرفون منهج الله إلا من وَفق الله، والشعوب كذلك إلا من وفق الله.

فالمؤمن ناصح «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟، قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»(١)، اِنْصَح للناس، اِصْدَع بالحق، بيِّن الحق للناس، لا تضحك علىٰ الناس، لا تربت علىٰ أكتاف الشعوب وتقول: أنتم مسلمون، كلكم أبناء مسلمين نعم عندهم إسلام لكن الكثير ما عندهم توحيد، ما عندهم اتباع لكتاب الله وسنة الرسول ﷺ، في هذه الأزمات الآن تقول: قال الله قال الرسول ما يقبلون منك، والله ما يقبلون، إذا قلت: الحل عند الرسول كذا لا يقبلون، يقولون لك: أنت عميل، والله العملاء والخونة الذين خانوا دين الله، وخانوا أمة الإسلام، وما قدَّموا لهم دين الله الحق، وإنما يُقدِّمون لهم الأباطيل والتُّرَّهات والسياسات الفاجرة المنحرفة.

فالجهاد ماضٍ ما انقطع، لكن ما هو الجهاد المشروع والمعتبر عند الله؟ هو: جهادُ أمةٍ توحد الله، وتخلص الدين كله لله، وتقاتل لإعلاء كلمة الله

(١) علقه البخاري في كتاب: (الإيمان باب: قول النبي ﷺ: «**الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»)، وأخرجه مسلم في كتاب (الإيمان) (رقم: ٥٥).

«مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[١].

ولو كان الرجل يقاتل مع الرسول ﷺ وله غرض آخر مصيره النار، وبعض الناس قاتلوا مع رسول الله ﷺ وحكم عليهم بالنار، وقُتلوا في المعركة وحكم عليهم رسول الله ﷺ بالنار لماذا؟، لأن الجهاد يجب أن يكون لإعلاء كلمة الله فقط، لا لدنيا ولا لشيء ولا لغرض من الأغراض، إنما لتكون كلمة الله هي العليا.

واحد في أُحد أَثْخَنَ في العدو فقال بعض الصحابة: ما أجزأ اليوم كما أجزأ فلان، فقال رسول الله: «**أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**» الحديث[٢]، تابعوه تابَعوه جُرِح فَقَتَلَ نفسه، قالوا: صدق رسول الله -عليه الصلاة والسلام-؛

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (العلم) (رقم: ١٢٣)، ومسلم في كتاب: (الإمارة) (رقم: ١٩٠٤).

(٢) أخرج البخاري في كتاب (الجهاد والسير، باب لا يقول فلان شهيد) (رقم: ٢٨٩٨)، ومسلم في كتاب: (الإيمان) (رقم: ١١٢) عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، التَقَىٰ هُوَ وَالمُشْرِكُونَ، فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَىٰ عَسْكَرِهِ، وَمَالَ الآخَرُونَ إِلَىٰ عَسْكَرِهِمْ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ، لاَ يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلاَ فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْزَأَ مِنَّا اليَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلاَنٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَىٰ سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**» قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**».

لأنه ما قاتل لله -عز وجل-، واحد يقاتل مع الرسول -عليه الصلاة والسلام- ويغل شملةً، قالوا: شهيد، فلان شهيد وفلان شهيد، لما وصلوا إلىٰ اسمه قال لهم رسول الله: «**كَلا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي غَلَّهَا يَوْمَ خَيْبَرَ فِي الْغَنَائِمِ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا**»[(١)].

فَلْنُوحد الله، وَلْنَنصر هذا الدين، وَلْنَرفع راية الجهاد لإعلاء كلمة الله فقط؛ لتكون كلمة الله هي العليا.

رجل يسأل: يَا رَسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَىٰ مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللهِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ أَعْلَىٰ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[(٢)].

(مَعَ أُولِي الأَمْرِ مِنْ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ لاَ يُبْطِلُهُ شَيْءٌ).

الخوارج والرافضة لا يرون الجهاد مع أئمة الإسلام.[(٣)]

ولو كان منحرفًا، فعلىٰ المسلمين أن يجاهدوا معه، ما دام في دائرة الإسلام ويعلن الجهاد فأنت تصلي وراءه وتجاهد معه وتحج معه، ما دام يصلي، وإذا استنفر للجهاد فعلىٰ المسلمين أن يجاهدوا معه، ونصلي وراءه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الأيمان والنذور) (رقم: ٦٧٠٧)، ومسلم في كتاب (الإيمان) (رقم: ١١٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب (الجهاد والسير) (رقم:٢٨١٠)، ومسلم في كتاب (الإمارة) (رقم:١٩٠٤).

(٣) انظر "مقالات الإسلاميين" (١٢٥)، و"مجموع فتاوىٰ ابن تيمية" (٢٨/ ٥٠٧).

بخلاف الخوارج والروافض؛ فإنهم يكفِّرون الأمة؛ لذا لا يرون الجهاد.(١)

والروافض يكفِّرون الأمة ويرون عدم الجهاد حتىٰ يخرج المهدي، والآن إذا قالوا: جهاد كذابون، والله دينهم غير هذا، دينهم أنه لا جهاد حتىٰ يقوم المهدي.

والمهدي خرافة أسطورة لا وجود له لم يوجد ولن يوجد، إلَّا المهدي الذي تحدث عنه رسول الله ﷺ ويؤمن به أهل السنة.(٢)

---

(١) قال ابن بطة رحمه الله في "الشرح والإبانة" (٢٧٨): "وقد أجمعت العلماء من أهل الفقه والعلم والنساك والعباد والزهاد، من أول هذه الأمة إلىٰ وقتنا هذا، أن صلاة الجمعة والعيدين، ومنىٰ وعرفات، والغزو والجهاد والهدي مع كل أمير، بر وفاجر، واعطاؤهم الخراج والصدقات والأعشار جائز، والصلاة في المساجد العظام التي بنوها والمشي علىٰ القناطر والجسور التي عقدوها، والبيع والشراء وسائر التجارة والزراعة والصنائع كلها، في كل عصر ومع كل أمير جائز علىٰ حكم الكتاب والسنة، لا يضر المحتاط لدينه، والمتمسك بسنة نبيه ﷺ ظلم ظالم ولا جور جائر، إذا كان ما يأتيه هو علىٰ حكم الكتاب والسنة".

(٢) قال محمد بن الحسين الآجري رحمه الله في كتابه "مناقب الشافعي" (١/ ٩٥): "قد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله ﷺ بذكر المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلًا، وأن عيسىٰ يخرج فيساعده علىٰ قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة، ويصلي عيسىٰ خلفه".

وقال السفاريني في "لوامع الأنوار البهية" (٢/ ٨٤): "قَدْ كَثُرَتِ الْأَقْوَالُ فِي الْمَهْدِيِّ حَتَّىٰ قِيلَ لَا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَىٰ، وَالصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَقِّ أَنَّ الْمَهْدِيَّ غَيْرُ عِيسَىٰ وَأَنَّهُ يَخْرُجُ قَبْلَ نُزُولِ عِيسَىٰ عليه السلام، وَقَدْ كَثُرَتْ بِخُرُوجِهِ الرِّوَايَاتُ حَتَّىٰ بَلَغَتْ حَدَّ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ وَشَاعَ ذَلِكَ بَيْنَ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ حَتَّىٰ عُدَّ مِنْ مُعْتَقَدَاتِهِمْ".

وانظر "المنار المنيف" (١٤٢) لابن القيم رحمه الله، و"إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة" (٢/ ٢٧٠)، و"الاحتجاج بالأثر علىٰ من أنكر المهدي المنتظر" للشيخ العلامة حمود التويجري رحمه الله، و"سلسلة الأحاديث الصحيحة" (٤/ ٣٨-٤٣) للشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

الشاهد: أنه يرد علىٰ من لا يرىٰ الجهاد مع ولاة الأمور ولو كانوا فجرة.

أبو أيوب كان يجاهد وراء يزيد -قتل وهو في القسطنطينية-، وقائد الجيش هو يزيد بن معاوية منحرف من أول حياته، وما قال: لا أجاهد معه. جاهد معه، وكان أهل السنة يجاهدون مع الحاكم ولو كان ظالمًا، يجاهدون معه ما دام يقول: لا إله إلا الله، ويقيم الصلاة، نصلي وراءه.

نصلي وراء الأئمة الذين يعينهم، إذا جاهد نخرج في الجهاد، ولا نسلك مسلك أهل البدع والضلال، من الخوارج، والروافض، ومن نحا نحوهم، هذا مقصوده.[1]

(وَالحَجُّ كَذَلِكَ).

الحج معهم[2]، أنس رضي الله عنه يسأله أحدهم: قال: متىٰ النفر يا أنس بن مالك؟، قال: النفر وقت كذا وكذا، ولكن كن مع أميرك، والأمير كان الحجاج في هذه الحجة -الظالم الطاغية السفاك-، حتىٰ كان كثير من السلف يكفِّرونه، ومع ذلك يقول: كن مع أميرك؛ لأنه رأىٰ منه بوادر الانحراف.

---

(١) انظر "الشريعة" (١/١٥٨)، و"شرح أصول السنة" (٨٠)، و"شرح عقيدة السلف أصحاب الحديث" (٣٥٧) للشيخ ربيع -حفظه الله-، و"ضوابط معاملة الحاكم عند أهل السنة والجماعة" (ص:٥٨٦) للدكتور خالد الظفيري وفقه الله.

(٢) قال الإمام البربهاري رحمه الله في "شرح السنة" (١١٦، رقم:١٣٥): "واعلم أن جور السلطان لا ينقص فريضة من فرائض الله -عز وجل- التي افترضها علىٰ لسان نبيه ﷺ؛ جوره علىٰ نفسه، وتطوعك وبرك معه تام لك إن شاء الله -تعالىٰ-، يعني: الجماعة و الجمعة معهم، والجهاد معهم، وكل شيء من الطاعات فشارك فيه، فلك نيتك".اهـ

(وَدَفْعُ الصَّدَقَاتِ مِنَ السَّوائِمِ إِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ).

إذا طلب الإمام الزكاة فيجب أن تدفع له، هناك زكاة الظاهر وهناك زكاة الباطن، زكاة الظاهر هذه للحاكم إذا طلبها يجب أن تؤدىٰ إليه، وله أن يقاتل عليها من امتنع من أدائها كما قاتل أبو بكر رضي الله عنه، لَمَّا امتنع المرتدون وبعض الناس غير مرتدين - ليسوا مرتدين ولكن منعوا الزكاة-، وقالوا: (لا نعطي الزكاة إلا إلىٰ من صلاته سكن لنا)(١) يعني: لا نؤديها إلا لرسول الله ﷺ، رسول الله انتقل إلىٰ ربه لا نؤديها لأبي بكر ولا غيره.

قال أبو بكر: والله لو منعوني عناقًا أو عقالًا لقاتلتهم عليه؛ لأنهم فرَّقوا بين الصلاة والزكاة، وجادله بعض الصحابة ثم استسلموا لرأيه الصائب وشرعوا يقاتلون أهل الردة بما فيهم مانعي الزكاة.(٢)

---

(١) انظر "المغني" (٤/ ٩) لابن قدامة، و"تفسير ابن كثير" (٤/ ٢٥٠)، و"التلخيص الحبير" (٦/ ٢٧٠٤، رقم:٢٣٦١) لابن حجر، ثم قال رحمه الله: "وأما هذا السبب فلم أقف له علىٰ أصل".

(٢) أخرج البخاري في كتاب (الزكاة) (رقم: ١٣٩٩-١٤٠٠)، ومسلم – واللفظ له - في كتاب (الإيمان) (رقم:٢٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَىٰ مَنْعِهِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَوَاللهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ.

فإذا طلبها فعليك أن تؤديها، ما طلبها فلك أن تتصدق بصدقتك وتعطيها للمستحقين والفقراء والمساكين من الأقربين والأبعدين -، حتىٰ بعضهم يفضل إذا لم يطلبها الإمام أنك تباشر إنفاقها بنفسك، تعرف المحتاجين والمستحقين وتعطيهم.

والسوائم هي: الإبل والبقر والغنم.

والحبوب والثمار والأمور الظاهرة كلها إذا طلبها الحاكم تقدّم له، وليست الصدقات في الإبل والبقر والغنم فقط، بل هي تشمل الأموال الظاهرة كلها من التمر والبُر والشعير وما شاكل ذلك، الأمور الظاهرة هذه إذا طلبها الحاكم تؤدىٰ إليه، وإذا امتنعوا فله أن يقاتلهم عليها.(١)

وتفاصيل الزكاة في هذه الأنواع في كتب الحديث والفقه.

---

(١) قال الإمام أحمد رحمه الله: "ودفع الصدقات إليهم جائزة من دفعها إليهم أجزأت عنه برًّا كان أو فاجرًا". انظر "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (١/ ١٦١)، و"شرح أصول السنة" (٨٠) للشيخ ربيع حفظه الله، و"ضوابط معاملة الحاكم عند أهل السنة والجماعة" (ص: ٥٧٨).

٢٣ وَقَالا: وَالنَّاسُ مُؤْمِنُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ وَلا يُدْرَى مَا هُمْ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ مُؤْمِنٌ حَقًّا؛ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، وَمَنْ قَالَ: مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللهِ؛ فَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَمَنْ قَالَ: هُوَ مُؤْمِنٌ بِاللهِ حَقًّا؛ فَهُوَ مُصِيبٌ.

الشرح

(وَالنَّاسُ مُؤْمِنُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ وَلا يُدْرَى مَا هُمْ عِنْدَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ).

لأنك أنت ما تقطع لنفسك بما عند الله -عز وجل-، فيحكم على الناس بالظواهر مثل الصلاة والصيام، إذا مات يورث، وإذا مات قريبه يرثه يأخذ نصيبه من الميراث، ويزوَّج ويتزوج؛ لأن ظاهره الإسلام، «**إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ**»(١) عليه الصلاة والسلام.

لك الظاهر؛ ولهذا كان الصحابة يتعاملون مع المنافقين وهم يعرفون كثيرًا منهم أنهم منافقون، لكن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ويصلي، وقد يخرج في الجهاد وقد يخرج في الحج، وأنت تعرفه أو تتوسم أنه منافق، لابد أن تعامله معاملة المسلمين في أمور الدنيا من النكاح والميراث وما شاكل ذلك، ولا ندري ما هم عند الله، كل الناس على الظاهر، لكن الحقيقة يعلمها الله عز وجل.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (المغازي) (رقم:٤٣٥١)، ومسلم في كتاب (الزكاة) (رقم: ١٠٦٤).

(فَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ مُؤْمِنٌ حَقًّا؛ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ).

هذا رد على المرجئة[١]، يقولون: أنا مؤمن حقًّا، وإيمان الفاسق مثل إيمان جبريل؛ لأن الإيمان عندهم التصديق فقط، إذا وجد التصديق فهو مؤمن كامل الإيمان إيمانه مثل إيمان جبريل وهو مؤمن حقًّا عند الله -في زعمهم-، ومن هنا يحرِّمون الاستثناء، إذا قلت: أنا مؤمن. قال لك: أسألك -أمتحنك-، أنت مؤمن؟، تقول: أنا مؤمن إن شاء الله. ما تقول: نعم. وتسكت عندهم!، لا، تقول: إن شاء الله، لماذا؟ لأن الإيمان تصديق وأعمال قلوب وأعمال جوارح هذه ليست عندهم من الإيمان، وهي عند أهل السنة من الإيمان، وأنت قطعًا ما تستوفيها كلها، فإذا قلت: أنا مؤمن وسَكَتَّ معناه أنك شهدت لنفسك بالإيمان الكامل وأنت لم تستوف الإيمان كله وأعماله كلها.

فعند أهل السنة أنك تستثني[٢]:

- منهم من يوجب ذلك .
- ومنهم من يرىٰ أنه من السنة .

---

(١) انظر "مقالات الإسلاميين" (ص:١٣٢، وما بعدها)، و"الملل والنحل" (١/ ١١١)، و"وسطية أهل السنة بين الفرق" (٣٤٤).

(٢) انظر "الشريعة" (١/ ٢٩٧)، و"شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٥/ ٢٤٧)، و"شرح عقيدة السلف أصحاب الحديث" (٣٢٨) للشيخ ربيع حفظه الله.

ومنهم من يرىٰ أنه جائز.

تقول: أنا مؤمن إن شاء الله، أنا مؤمن أرجو، لا تقطع وتقول: أنا مؤمن حقًا هذا من الكذب علىٰ الله -تبارك وتعالىٰ-، لأن الإيمان فيه أعمال وأنت قطعًا لم تستوف ذلك.

«**اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ...**»، هذا الدعاء يدعو به رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، ويعلمه لأبي بكر «**اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»(١).

فإذا قلت: أنا مؤمن حقًّا معناه: ما عندك ذنب كأنك معصوم، ونحن مذنبون، وما أكثر أخطائنا وما أكثر ذنوبنا؛ لهذا تقول: أنا مؤمن إن شاء الله. مؤمن أرجو. وما شاكل ذلك، هذا مقصود المؤلف رحمه الله تعالى.

(وَمَنْ قَالَ: مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللهِ؛ فَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ).

صَدَقَا رحمهما الله؛ لأنه إذا جزم قال: أنا مؤمن. يعني: ادَّعىٰ لنفسه الإيمان الكامل، إذا قال: أنا مؤمن عند الله. معناه أن إيمانه كامل لم يخدشه أي نقص هذا كذَّاب، والعياذ بالله.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الأذان) (رقم: ٨٣٤)، ومسلم في كتاب (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار) (رقم: ٢٧٠٥).

(وَمَنْ قَالَ: هُوَ مُؤْمِنٌ بِاللهِ حَقًّا؛ فَهُوَ مُصِيبٌ).

إذا قلت: أنا مؤمن بالله. فهنا يصح؛ لأن المسلم الصادق يعلم أنه مؤمن بالله وإن كان لا يجزم بكمال إيمانه لكن لا تقل: أنا مؤمن. وتسكت، إذا سألك سائل: هل أنت مؤمن؟ تقول: إن شاء الله. أنا مؤمن بالله. آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله.

أمَّا تقول: مؤمن. وتسكت فلا؛ لأنه لابد من الاستثناء **عند بعض أهل السنة؛ لأن المسلم الصادق لا يجزم بأنه أستكمل أعمال القلوب وأعمال الجوارح، والإيمان بضع وسبعون شعبة ولا يجزم المسلم الصادق أنه استوفاها.**

٢٤ وَالْمُرْجِئَةُ الْمُبْتَدِعَةُ ضُلاَّلٌ.

الشرح

المرجئة قسمان:(١)

١] مرجئة غلاة: مرجئة الجهمية.

هؤلاء يقولون: الإيمان المعرفة فقط.

وعلىٰ تعريفهم للإيمان يدخل اليهود والنصارىٰ وفرعون وإبليس كلهم؛ لأنهم يعرفون الله -عز وجل-، والمشركون يعرفون الله عز وجل.

والهندوك يعرفون الله -عز وجل-، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]، ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١].

كلهم يعرفون الله عز وجل؛ فهذا ضلال مبين.

٢] مرجئة الفقهاء.

يقولون: الإيمان هو التصديق والقول، تصديق بالقلب وقول باللسان والعمل ليس من الإيمان، الصلاة والزكاة والصوم والحج والبر والتقوىٰ إلىٰ

(١) انظر "مقالات الإسلاميين" (ص:١٣٢، وما بعدها)، و"الفرق بين الفرق" (٢٠٢)، و"الملل والنحل" (١١١)، و"البرهان في معرفة عقائد الأديان" (٣٣)؛ لمعرفة عقائد المرجئة.

آخره، كل هذه الأشياء ليست من الإيمان، وهذه مخالفة وقحة لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ، فالأعمال كلها من الإيمان، والإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، أكثر هذه الخصال البضع وسبعون شعبة عند هؤلاء ليست من الإيمان، الإيمان هو التصديق والقول باللسان فقط مع الأسف الشديد.

لهذا وصفهم الإمامان بأنهم ضُلَّال لا شك، سواء الغالي منهم أو من يسمونهم بمرجئة الفقهاء كلهم علىٰ ضلال والعياذ بالله.

والإيمان عندهم: لا يزيد ولا ينقص؛ فيخالفون آيات كثيرة صريحة تدل علىٰ زيادة الإيمان مثل:

قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى﴾ [مريم: ٧٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ [الكهف: ١٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ [الفتح: ٤]، وغير ذلك من الآيات الكريمات الدالة علىٰ زيادة الإيمان.

وأحاديث الشفاعة فيها دلالات صريحة علىٰ نقصان الإيمان وهي في الصحيحين وغيرهما.

مثل حديث أبي سعيد رضي الله عنه في الشفاعة ومنه:

ثم يقول (أي: الله): «**انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَمًا قَدْ امْتَحَشُوا**» الحديث.(١)

ومثل حديث أنس رضي الله عنه وطلبِ الناس الشفاعة من آدم ثم من نوح ثم من إبراهيم ثم من موسىٰ ثم من عيسىٰ فكل واحد يعتذر فيقول: لست لها صلوات الله وسلامه عليهم.

قال: ثم يأتون محمدًا ﷺ فيقول: «**أنا لها فأنطلق فأستأذن علىٰ ربي فيؤذن لي....**» الحديث.(٢)

وفيه يقول الله للشفعاء: «**أخرجوا من في قلبه أدنىٰ أدنىٰ أدنىٰ مثقال من ذرة من إيمان**».

ومن بلاء هؤلاء المرجئة أنهم لا يرون الصلاة ولا الزكاة ولا الحج من الإيمان، وهذا من ثمار البدع ونتائجها.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الإيمان) (رقم:٢٢)، ومسلم في كتاب (الإيمان) (رقم: ١٨٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب (الإيمان) (رقم: ١٩٣).

٢٥ وَالْقَدَرِيَّةُ الْمُبْتَدِعَةُ ضُلَّالٌ. فَمَنْ أَنْكَرَ مِنْهُمْ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ مَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ فَهُوَ كَافِرٌ.

الشرح

والقدرية قسمان:[(١)]

قسم: في البداية بدأ ينكر علم الله بالأشياء قبل كونها، وينكر أن أفعال العباد بإرادة الله ومشيئته، ويعتقدون أن العبد يخلق فعل نفسه، هؤلاء كفَّرهم السلف، وسُئل عنهم عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال له يحيىٰ بن يعمر: إنه قد ظهر قبلنا أناس في العراق، يعني: يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم، وذَكَرَ من شأنهم، ثم قال: إنهم يقولون: ويزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنُفٌ، فقال: أبلغهم أنني منهم براء وأنهم مني برآء، والله لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهبًا ما نفعه ذلك حتىٰ يؤمنون بالقدر، وساق حديث جبريل[(٢)]، وسار أهل السنة علىٰ هذا المنوال يكفِّرونهم؛ لأنهم ينكرون علم الله تبارك وتعالىٰ السابق واللاحق.

عِلْمُ الله -سبحانه وتعالىٰ- بكل شيء سابقًا ولاحقًا ينكرونه، عندهم لا يعلم الأعمال إلا بعد وقوعها، أما قبل الوقوع ما يعلمها الله -تبارك وتعالىٰ-

(١) انظر "الفرق بين الفرق" (١١٤)، و"الملل والنحل" (٣٩)، و"البرهان في معرفة عقائد الأديان" (٤٩) لمعرفة عقائد القدرية.

(٢) انظر "صحيح مسلم" كتاب (الإيمان) (رقم: ١).

كفَّرهم السلف، فلما شد السلف عليهم تراجعوا وصاروا يعترفون بعلم الله في الأزل وفي اللوح المحفوظ، ولكن ينكرون تعلق إرادة الله بأفعال العباد ومشيئته وقدرته، لا علاقة لها بها.

فهؤلاء مِن السلف مَن يكفرهم، ومنهم مَن لا يكفِّرهم؛ لكنهم ضُلاَّل كما يقول هذا الإمام وغيره، يعني: كثير من السلف ما كفَّروا القدرية في نهاية أمرهم لأنهم تنازلوا عن إنكار علم الله السابق وأن الله -سبحانه وتعالىٰ- علم كل شيء وكتب ذلك في اللوح المحفوظ كل هذه كان سلفهم ينكرونها فتراجع متأخروهم عنها وصاروا يعترفون بهذه الأشياء، ولكن ينكرون إرادة الله ومشيئته لأفعال العباد، ويعتقدون أن العباد يخلقون أفعال نفسهم ولا دخل لإرادة الله ومشيئته في هذه الأشياء.

وعند أهل السنة: كل ما كان وما يكون في هذا الكون لا يخرج عن إرادة الله ومشيئته من الخير والشر، وفي الحديث عندكم حديث جبريل لَمَّا سئل الرسول ﷺ عن الإيمان قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١) فكل ما يدور في الكون وأي حركة أو سكون في الكون كلها بمشيئة الله وإرادته لا يخرج مثقال ذرة عن إرادة الله ومشيئته؛ لأنه لا يكون في كونه ما لا يريد، لا يكون إلا ما يريده والحكمة عنده -سبحانه وتعالىٰ-: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾، والعبد مسؤول أمام

(١) أخرجه البخاري في كتاب (رقم: ٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان (رقم: ٨).

الله -تبارك وتعالىٰ-؛ لأن الله أعطاه علمًا، أعطاه قدرة، أعطاه إرادة، أعطاه سمعًا وبصرًا، أعطاه تمييزًا بين الحق والباطل والخير والشر، ومع ذلك يرتكب الكفر والمعاصي وما شاكل ذلك، فهو مسؤول عمَّا يرتكبه من أفعاله؛ لأنه أتاها باختياره.

والقدر كما يُقال: سرٌّ من أسرار الله لَمَّا تذهب تُنقب تَضل فيكفيك هذا، الله حكيم عليم ولا يفعل شيئًا إلا بحكمة وإرادة -سبحانه وتعالىٰ-، ولا يُقدر شيئًا إلا وله فيه الحكمة البالغة -سبحانه وتعالىٰ-، فنؤمن بهذا وأنه لا يحدث في الكون شيء إلا بإرادة الله، وأن العباد يعملون أعمالهم باختيارهم وقدرتهم وإن كان ذلك مرتبطًا بمشيئة الله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠]، عندهم مشيئة وعندهم إرادة لكنها مرتبطة بمشيئة الله تبارك وتعالىٰ.

هذه المشيئة وهذه الإرادة وهذا الاختيار يحاسبون في ضوئه، والإنسان يشعر بالعمل الذي يعمله مضطرًا ومكرهًا عليه، والعمل الذي يأتيه باختياره ورغبته، فالذي يأتي الزنا يأتيه برغبته واختياره، الذي يغتاب، الذي ينم، الذي يكذب، الذي يفجر، يأتي هذه الأشياء كلها باختياره، أو يأتي أعمال البر باختياره، يصلي يصوم يزكي باختياره، فإن صلىٰ وصام وزكَّىٰ كل هذا من عمله والله يثيبه علىٰ هذا العمل، وإن فعل شرًا أي شر فهذا من عمله والله يحاسبه عليه ويكافئه عليه.

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، بعلمه السابق سبحانه وتعالىٰ ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس:١٢] يعني: اللوح المحفوظ.

اللهُ سبحانه وتعالىٰ عَلِمَ الأشياء أزلًا قبل أن يخلق السموات والأرض بملايين السنين، بعلمه القديم الأزلي الذي لا بداية له، عَلِم كل شيء ثم كتبه في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «**كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»(١).

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

الذَّرَّة، والنملة، والصغيرة والكبيرة، وأدق الأشياء والورقة تسقط، كل شيء عَلِمه الله من الأزل وكتبه وسجله في اللوح المحفوظ قبل أن يَخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة سبحانه وتعالىٰ، فالذي ينكر هذا العلم كافر؛ لأنه مكذِّب لله تبارك وتعالىٰ.

وحصل هذا في أواخر عهد الصحابة، قوم نشأوا في العراق بالبصرة أو

(١) أخرجه مسلم في كتاب (القدر) (رقم: ٢٦٥٣) وهذا لفظه: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

الكوفة، فجاء قوم من العراق منهم: يحيىٰ بن يعمر، وحميد بن عبدالرحمن يسألون عن هذه المشكلة، وجدوا أبا عبدالرحمن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فقال ابن يعمر: يا أبا عبدالرحمن إنه نشأ قبلنا قوم يتقفرون العلم، يعني: يثني عليهم، مغتر بهم، يتقفرون العلم ويقولون: لا قدر وإن الأمر أنف، قال: أبلغوهم أنني منهم براء وأنهم مني برآء، والله لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه لا ينفعه ذلك حتىٰ يؤمن بالقدر(١)، والقدر فيه آيات كثيرة.

(١) قال الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله في صحيحه في كتاب الإيمان: "بعون الله نبتدئ وإياه نستكفي وما توفيقنا إلا بالله جل جلاله حدثني أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا وكيع عن كهمس عن عبد الله بن بريدة عن يحيىٰ بن يعمر ح وحدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري وهذا حديثه حدثنا أبي حدثنا كهمس عن بن بريدة عن يحيىٰ بن يعمر قال كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريئ منهم وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتىٰ يؤمن بالقدر. ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرىٰ عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتىٰ جلس إلىٰ النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلىٰ ركبتيه ووضع كفيه علىٰ فخذيه وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال**: صدقت. قال: **فعجبنا له يسأله ويصدقه!. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال**: صدقت. قال: **فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترىٰ الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»**، قال: ثم انطلق فلبثت مليًّا ثم قال لي: «**يا عمر، أتدري من السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**».

في علم الله السابق -سبحانه وتعالىٰ- علمه بكل شيء، لكن هؤلاء القدرية كذَّبوا بالآيات القرآنية الدالة علىٰ علم الله السابق بكل شيء، ثم كتابته لذلك في اللوح المحفوظ، والرسول -عليه الصلاة والسلام- لمَّا سأله جبريل عليه السلام أجابه عن الإسلام، ثم سأله عن الإيمان فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، مَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، فالله علم كل شيء، وقدَّر كل شيء تقديرًا يقول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وقول الله تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٩] إلىٰ آخر الآية، وكفَّرهم السلف، كفَّرهم ابن عمر وتبرأ منهم وحكم عليهم حكم الكافرين: "لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهبًا ما نفعه ذلك".

والمؤمن لو ينفق مثقال ذرة ينفعه الله -سبحانه وتعالىٰ- بها، لو ينفق تمرة، لو ينفق شعيرة، لو ينفق أي شيء لُقمة، يتصدق بالتمرة فينمِّيها الله حتىٰ تصير مثل أُحد، هذا يتصدق بمثل أُحد ذهباً ما ينفعه لِمَ؟؛ لأنه كافر عند ابن عمر، وكفَّرهم السلف.

هذا النوع من القدرية كفَّرهم السلف، فلما كفَّرهم السلف تراجع متأخروهم فصاروا يؤمنون بهذا العلم السابق، وأن الله يعلم الأشياء كلها قبل

وجودها وبعد وجودها -سبحانه وتعالىٰ-، لكن قالوا: إن المعاصي وأفعال العباد ليست داخلة في مشيئة الله، فالله لا يشاؤها، يفعل العبد أشياء لا يريدها الله -عز وجل-، فهذا ضلال، وبعضهم كفَّرهم لأنه لا يحدث شيء في الكون إلا بإذن الله -سبحانه وتعالىٰ- وبإرادته، فأنكروا هذا النوع من القدر، فمن السلف من كفَّرهم ومنهم من لا يكفِّرهم، كثير من السلف لا يكفِّرونهم ولكنهم ضُلاَّل أشقياء والعياذ بالله.

يقولون: إن العبد يَخْلُق فِعْل نفسه، يفعل بإرادته وقدرته ولا ارتباط لهذه الأعمال بمشيئة الله، وهذا أيضًا فيه رد للقرآن: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[التكوير: ٢٩]، فمشيئة العباد مرتبطة بمشيئة الله، أما أهل الحق من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان من أهل السنة والجماعة فيؤمنون بمراتب القدر كلها وهي كما يقول الإمام ابن تيمية وابن القيم أربع مراتب:

- المرتبة الأولىٰ: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها.
- المرتبة الثانية: كتابتها قبل كونها.
- المرتبة الثالثة: مشيئته لها.
- المرتبة الرابعة: خلقه لها.[1]

---

(١) انظر "شفاء العليل" (١٣٤) لابن القيم، و"شرح الواسطية" (١٣٠-١٣٣) للشيخ محمد خليل هراس.

ويؤكد أهل السنة أن للعبد قدرة ومشيئة وعقلاً واختيارًا، ولكن مشيئتهم وأعمالهم مرتبطة بمشيئة الله؛ فلا يحصل شيء في هذا الكون الذي خلقه الله ودبَّره، لا يحصل شيء إلا بإرادته -سبحانه وتعالىٰ-، والعبد وأعماله مخلوقه لله -عز وجل-، العبد عنده قدرة عنده إرادة عنده اختيار يحاسب علىٰ هذا العقل، وعلىٰ هذه القدرة وهذه الإرادة وهذا الاختيار، وهو يعلم من نفسه حينما يأتي الأشياء مختارًا وحينما يأتيها مضطرًا، يفرق العبد حتىٰ الحيوانات تفرق بين الاضطرار وبين الاختيار.

حتىٰ الحيوانات تفرق بين العمل الذي يصدر من صاحبه مضطرًا وبين الذي يصدر من صاحبه مختارًا، يمثلون بالكلب مثلًا: إذا رميته بحجر ما يهاجم الحجر يلحقك أنت يحاربك، لم؟ لأنه يدرك أن الحجر ليس له اختيار وأنت لك اختيار فيحاربك أنت، فالعبد يشعر من نفسه بالضرورة أنه يأتي الخير مختارًا ويأتي الشر مختارًا يزني يسرق يقتل يغتاب يفعل أفاعيل سيئة يتعمدها ويختارها ويقدم عليها فهو مسؤول بهذا الاختيار وبهذه القدرة وبهذه الإرادة، وما وراء ذلك ليس لك فيه دخل، كون الله أرادها هذا لا دخل لك فيه، أنت حاسب نفسك واقتنع في قرارة نفسك أنك مسؤول عن هذه الأعمال.

ويحاسب الله -تبارك وتعالىٰ- الناس علىٰ أعمالهم، يعني: ما أعطاهم هذه العقول وأعطاهم المال والجاه وأعطاهم كل شيء -سبحانه وتعالىٰ- إلا ليستعينوا بها علىٰ طاعته فعصَوْه، وإن كان هذا حاصل بمشيئة الله وإرادته

لكن العبد مسؤول أيضًا، العبد عليه مسؤولية، فالعبد هو المصلي، وهو الصائم، وهو السارق، وهو الزاني.

الجبرية ومذهبهم قد يكون أخسَّ من مذهب القدرية؛ لأنهم يعتقدون أن الإنسان مجبور علىٰ أفعاله ليس له اختيار، هذا كذب، كل واحد يشعر في نفسه أنه عنده قدرة واختيار وإرادة، فهذا فيه تعطيل للشريعة، تعطيل الأوامر والنواهي، تعطيل للوعد والوعيد إلىٰ آخره.

فمسألة القدر: سر من أسرار الله -سبحانه وتعالىٰ-، لا تبحث كثيرًا[1]، أنت عبد مكلَّف عليك أن تعمل، عليك أن تمتثل أوامر الله وأن تجتنب نواهيه -سبحانه وتعالىٰ-، وتخشىٰ الله وتراقبه، وتشعر بالمسؤولية أمام الله وأنك ستحاسب أمام الله تبارك وتعالىٰ.

الناس الآن حتىٰ الجبرية لو تأخذ ماله يحاربك ما يقول: والله هذا فعل الله!، بل يحاربك علىٰ أنه فعلك، مثلًا عنده بقر، عنده غنم، عنده ذهب، عنده فضة تأخذه أو شيئًا منه يحاربك لا يقول: والله أنت مجبور!، فحتىٰ الجبرية وقت الجد يذهب عنهم هذا الكلام الفارغ، والعقيدة الفاسدة.

فالقدر سر الله -تبارك وتعالىٰ-، نؤمن بالقدر خيره وشره من الله -تعالىٰ،

---

(١) أخرج الطبراني في «المعجم الكبير» عن ثوبان رضي الله عنه (٢/ ٩٦، رقم: ١٤٢٧) وابن مسعود رضي الله عنه (١٠/ ١٩٨، رقم: ١٠٤٤٨) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا**»، وانظر «الصحيحة» (١/ ٧٤، رقم: ٣٤) فقد توسع في تخريجه وحكم بصحته.

وأن لا شيء في هذا الكون يخرج عن مشيئة الله وإرادته، وأن العباد فاعلون ومسؤولون عن أعمالهم والله خلقهم وأعمالهم -سبحانه وتعالىٰ- ولا يجوز للعبد أن يحتج بالقدر علىٰ المعاصي والمعائب وإنما يحتج بالقدر علىٰ المصائب بعد صبره عليها وعدم الجزع منها، قال تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٥٥) ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ -١٥٧].

فالمؤمن الصادق يؤمن بقدر الله خيره وشره إن أصابته نَعماء شكر، وإن أصابته ضراء صبر واعتقد أن كل ذلكم من عند الله وبتقديره قال ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[١].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب (الزهد والرقائق) (رقم: ٢٩٩٩).

٢٦ وَأَنَّ الجَهْمِيَّةَ كُفَّارٌ.

الشرح

الجهمية[١] كفار؛ لأنهم عطَّلوا الله من صفاته، أنكروا علم الله، وسمعه، وبصره، وقدرته إلىٰ آخر الأشياء -قبحهم الله-، عطلوا صفات الله -تبارك وتعالىٰ-، أنكروا استواءه، ونزوله، ومجيئه، وغضبه، ورضاه، وكل الصفات القولية والفعلية والذاتية عطلوها، فنتيجة مذهبهم أن الله غير موجود، لأنهم يقولون هو: لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار إلىٰ آخره، فكفّرهم السلف؛ لأن عندهم هذه العقيدة الخبيثة التي تصادم نصوص الكتاب والسنة وما كان عليه الرسول والسلف الكرام من الصحابة وغيرهم -رضوان الله عليهم-، فكفّرهم السلف بهذا المذهب الخبيث.

ويقولون: إن الجنة والنار لم تخلقا، وأن الجنة والنار تفنيان، وكم كذبوا وكذبوا، وكذبوا، وكَذبوا، وكذبوا؛ فكفَّرهم السلف.[٢]

---

(١) انظر "مقالات الإسلاميين" (٢٧٩)، و"الفرق بين الفرق" (٢١١)، و"الملل والنحل" (١/ ٦٧) لمعرفة عقائد الجهمية .

(٢) انظر "الرد علىٰ الجهمية" (١٧٤) للدارمي، و"شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٢/ ٣١٢) للإمام اللالكائي رحمه الله حيث قال بعد سرد أسماء العلماء: قالوا كلهم: "القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر". فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفسًا أو أكثر من التابعين وأتباع التابعين والأئمة المرضيين سوىٰ الصحابة الخيرين علىٰ اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام. وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم وتدينوا بمذاهبهم، ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفًا كثيرة، لكني اختصرت وحذفت الأسانيد للاختصار،=

(وَأَنَّ الْجَهْمِيَّةَ كُفَّارٌ).

بقي ناس تأثروا بالجهمية ما أخذوا كل المذهب الجهمي أخذوا بعضه؛ فعدهم أهل السنة من أهل البدع، وهم: الأشاعرة.

لكن هناك شيء وهو أنه: يكون في الحكم مبتدعًا بدعة خطيرة، فإذا أقيمت عليه الحجة من كتاب الله ومن سنة الرسول ﷺ وأصر مثلا علىٰ إنكار الاستواء والمجيء والرضا والغضب؛ فإنه يكفر.

يعني: الأشعرية يَعُدُّ شيخُ الإسلام ابن تيمية نوعًا منهم من الجهمية، قسّم الجهمية ثلاثة أقسام:

❏ الجهمية الأساسية: وهم من شرحنا حالهم، عطلوا صفات الله سبحانه وتعالىٰ كلَّها، ويقولون بفناء الجنة والنار ولهم ضلالات أخرىٰ.

= ونقلت عن هؤلاء عصرًا بعد عصر لا ينكر عليهم منكر، ومن أنكر قولهم استتابوه أو أمروا بقتله أو نفيه أو صلبه.

ولا خلاف بين الأمة أن أول من قال: القرآن مخلوق جعد بن درهم في سِني نيف وعشرين، ثم جهم بن صفوان .

فأما جعد فقتله خالد بن عبدالله القسري، وأما جهم فقُتل بمرو في خلافة هشام بن عبدالملك، وسأذكر قصتهما إن شاء الله، وأبتدئ بذكر الحدود التي أوجبها أهل العلم عليهم، والهجر لهم، والبعد منهم؛ ليكون للمسلمين فيهم أسوة وقدوة.اهـ

وقال ابن القيم في "النونية":

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عنـــ ... ـــهم بل حكاه قبله الطبراني

- جاء المعتزلة أخذوا جانبًا بالإضافة إلىٰ القدر الذي ينكرونه أخذوا من الجهمية تعطيل الصفات، وقالوا: آمنا بأسماء الله لكن هذه الأسماء لا تدل علىٰ الصفات.

فإيمانهم بالأسماء شكلي، أما الصفات فيعطلونها؛ فكفّرهم من كفّرهم، ومنهم من لا يكفّرهم.

والصواب: أنهم لا يكفرون إلا بعد إقامة الحجة عليهم.

- النوع الثالث من الجهمية: الأشعرية أخذوا جانبًا من التجهم، يعني: تعطيل الاستواء، والرضا، والغضب الصفات الفعلية، سايروا فيها الجهمية، فشيخ الإسلام عدَّ هذا الصنف منهم جهمية الجهمية الصغرىٰ، الجهمية المتأخرة، واستثنىٰ من الأشاعرة من يؤمن بما في "الإبانة" لأبي الحسن الأشعري.[1]

أنا لا أقول ليس في "الإبانة" شيء لكن في الغالب هي علىٰ مذهب السلف، يؤمن بما قال السلف بكذا وكذا ويثبت العلو والمجيء والاستواء وما شاكل ذلك، ويثبت الصفات.

يبقىٰ شيء عليه في الكلام أو نحو ذلك.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: من دان منهم بما في الإبانة فهو من أهل السنة

---

(١) انظر "التسعينية" (١/ ٢٦٥-٢٧١) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

بشرط أن لا ينتسب إلىٰ الأشعرية؛ لأن في ذلك مفسدة.(١)

فالشاهد: أن الأشاعرة نحن الآن لا نكفّرهم لكن نبدّعهم، ومن قامت عليه الحجة في أبواب الأسماء والصفات وغيرها مما يخالفون فيه أهل السنة، إن رجع عن ذلك فالحمد لله، وإن لم يرجع فيُكَفَّر.

بل الأشاعرة ضمّوا إلىٰ الأشعرية: المذاهب الصوفية، الصوفية تغلغلت في الأشاعرة علىٰ مختلف مذاهبهم من مالكية وشافعية وحنفية دخلت فيهم الصوفية، خاصة المالكية باسم الصوفية، مع أن الإمام مالك حارب البدع حربًا لا هوادة فيها رحمه الله، ومع ذلك وقعوا في أشعرية، ووقعوا في التصوف الغالي، منهم التيجانية، ومنهم الميرغنية منهم.. منهم..، الأحناف منهم النقشبندية والسهروردية والقادرية، وهم ينتمون إلىٰ السنة، فهؤلاء ضموا إلىٰ أشعريتهم هذه المناهج الصوفية الكفرية.

فهؤلاء علىٰ خطر عظيم ومن يعرف منهم الحق ويعاند فهو كافر، ومن لا يعرف الحق لا يكفَّر حتىٰ تقام عليه الحجة.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله "مجموع الفتاوىٰ" (٦/ ٣٥٩): "وَأَمَّا مَنْ قَالَ مِنْهُمْ بِكِتَابِ "الْإِبَانَةِ" الَّذِي صَنَّفَهُ الْأَشْعَرِيُّ فِي آخِرِ عُمْرِهِ وَلَمْ يُظْهِرْ مَقَالَةً تُنَاقِضُ ذَلِكَ فَهَذَا يُعَدُّ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، لَكِنَّ مُجَرَّدَ الِانْتِسَابِ إلَىٰ الْأَشْعَرِيِّ بِدْعَةٌ لَاسِيَّمَا وَأَنَّهُ بِذَلِكَ يُوهِمُ حُسْنًا بِكُلِّ مَنْ انْتَسَبَ هَذِهِ النِّسْبَةَ وَيَنْفَتِحُ بِذَلِكَ أَبْوَابُ شَرٍّ وَالْكَلَامُ مَعَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنْفُونَ ظَاهِرَهَا بِهَذَا التَّفْسِيرِ". اهـ

٢٧ وَأَنَّ الرَّافِضَةَ رَفَضُوا الإِسْلَامَ.

الشرح

الرافضة فيهم من رفض الإسلام وكثير من السلف كفّرهم[(١)]، والآن زادوا كفرًا، علىٰ مرِّ الأيام يزدادون كفرًا، ففي عهد المؤلف ما بلغوا هذا المبلغ الذي وصلوا إليه الآن، يعتقدون الآن في الأئمة أنهم أفضل من الأنبياء، وأن الإمام منهم لا يلحقه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وأن للإمام سلطة تكوينية علىٰ كل ذرة من ذرات الكون هؤلاء كفار.[(٢)]

وكان يوجد خصام بين الرافضة وبين الباطنية -النصيرية والدرزية- وما شاكل ذلك، كان الرافضة في ذلك الوقت في الوقت السابق يكفرون هؤلاء الباطنية، بماذا كفروهم؟، من المكفرات ومن أهمها: أنهم يفضلون أئمة أهل البيت علىٰ الأنبياء، فكان الروافض فيما سلف يكفِّرونهم، الآن أخذوا بهذا المبدأ وغلوا فيه أكثر من الباطنية، أن أهل البيت أو الأئمة من أهل البيت أفضل من الأنبياء، وأن الإمام منهم لا يبلغ درجته ملك مقرب ولا نبي

---

(١) انظر "السنة" (٣/ ٤٨٩-٤٩٥) للخلال، و"الصارم المسلول" (٣/ ١١١٠)، و"مجموع الفتاوىٰ" (٢٨/ ٤٧٧) لابن تيمية رحمه الله.

(٢) انظر "مقالات الإسلاميين" (٥-٨٥)، و"الفرق بين الفرق" (٢٩-٧١)، و"الملل والنحل" (١/ ١١٥)، و"البرهان" (٦٥)، وكتاب "تخريب لا تقريب" للشيخ الدكتور علي بن يحيىٰ الحدادي -حفظه الله- لمعرفة عقائد الرافضة.

مرسل، أضافوا إلىٰ ذلك أنهم يتصرفون في هذا الكون، يتصرف في كل ذرة من ذرات الكون، يعني: هذا الاعتقاد أنهم صاروا آلهة، فهذا من أكفر الكفر.

فالروافض علماؤهم كفار زنادقة، وعوامهم الذين ما عندهم هذه العقائد لا نكفرهم لكنهم أهل ضلال، والعوام الذين عندهم هذه العقائد كفار، الذي يكفر الصحابة منهم كافر، الذي يكفر زوجات الرسول ﷺ كافر الذي يقذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كافر.

إذن هناك روافض سَلِموا من هذه العقائد الكفرية فهم روافض لكن لا نكفرهم، فإذا دخلوا وأوغلوا ولحقوا الأئمة -أئمتهم أئمة الزور والضلال- فهم كفار مثلهم.

٢٨ وَالْخَوَارِجُ مُرَّاقٌ.

الشرح

الخوارج من السلف من يكفِّرهم، وجاءت نصوص عن الرسول -عليه الصلاة والسلام- تعلق بها من يكفرهم، «**يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(١)، ولهم الآن أتباع ينتسبون إلىٰ السنة، بل ينتسبون إلىٰ السلفية وهم سائرون علىٰ هذا الخط -خط الخوارج- في تكفير المسلمين واستباحة أموالهم ودمائهم.

فالخوارج خرجوا علىٰ علي رضي الله عنه وقالوا: لا حكم إلا لله، عليٌّ يحكم بما أنزل الله ويعلم أنه لا حكم إلا لله، قال لهم عليٌّ رضي الله عنه: "كلمة حق أريد بها باطل"؛ لأن المبتدع لابد يكون له غرض؛ لأنه صاحب هوىٰ؛ ولهذا سَمَّوا أهل البدع بأهل الأهواء، يقول: كلاماً ظاهره الحق وله هدف من ورائه، فقال لهم عليٌّ: "كلمة حق أريد بها باطل"، وناقشهم هو وابن عباس ورجع من رجع منهم والآخرون صَمَّموا علىٰ الفتنة وعلىٰ القتال، وقاتلهم عليٌّ واحتج بالأحاديث هو وغيره علىٰ مشروعية قتلهم.(٢)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (المناقب) (٣٦١١)، ومسلم في كتاب (الزكاة) (رقم: ١٠٦٦).

(٢) انظر "السنة" (٢/ ٦٢٢) لابن أبي عاصم، و"السنة" (٢/ ٢٥٤) لعبدالله بن أحمد، و"الشريعة"=

ولهذا لم يختلف الصحابة في قتلهم، بل أجمعوا علىٰ قتلهم ووجوب قتلهم، وتطهير الأرض منهم، فقاتلهم عليٌّ فقتل كثيرًا منهم وبقي من بقي منهم، وبقوا علىٰ فكرهم وضلالهم وتداوله أتباع هذا المذهب وسُمُّوا الخوارج علىٰ مر الأيام إلىٰ يومنا هذا.

الشاهد: الرسول ﷺ قال: «**هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ**»، وقال: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»، ثم الخوارج بعد ذلك العصر دخلوا في مسألة الجهمية ومسألة الاعتزال ومسألة القدر، جمعوا إلىٰ مذهبهم الفاسد مذاهب أخرىٰ، فزادوا شرًا علىٰ شرهم والعياذ بالله، فهم مُرَّاق «**يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»، وكثير من السلف كفَّرهم.(١)

= (١/ ١٣٦-١٥٧) للآجري فقد عقد بابًا في: ذم الخوارج وسوء مذاهبهم وإباحة قتلهم وثواب من قتلهم أو قتلوه.

(١) انظر "الإبانة الصغرىٰ" (ص:١٥٢، رقم: ١٥٨) لابن بطة، و"المغني" (١٢/ ٢٣٩) لابن قدامة، و"فتح الباري" (١٢/ ٣١٣) لابن حجر، و"مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة" (١٣/ ١٦١) لابن باز رحمه الله.

٢٩ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ الْعَظِيمِ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ.

الشرح

من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر[1] لأنه كذَّب الله -تبارك وتعالىٰ- وخالف الأنبياء، الأنبياء يعلمون أن الله يتكلم، يؤمنون أن الله يتكلم متىٰ شاء وكيف شاء، فالقرآن كلام الله -سبحانه وتعالىٰ-، والله يتكلم، تكلم في الأزل، ويتكلم في الأبد، ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، كلام الله، ما قال مخلوق الله!، كلام الله، الله تكلم به، الله يتكلم متىٰ شاء، وإذا شاء: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فالقرآن كلامه، والقرآن علمه: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، فالقرآن كلام الله، والقرآن علم الله تبارك وتعالىٰ.

فالذي يقول: القرآن مخلوق كذَّب الآيات التي نصت علىٰ أن القرآن كلام الله، وأنه تنزيل من الله، وأنه وحي من الله -تبارك وتعالىٰ- ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ

(١) انظر "الشريعة" (١/ ٢١٤)، و"شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٢/ ٣٤٩).

حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الحشر: ٢١]، هذا كلام مخلوق؟!، هذا كلام مخلوق؟!، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الرعد:٣١]، الخبر محذوف؛ أي: لكان هذا القرآن، والله يقول -سبحانه وتعالىٰ-: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الإسراء:٨٨]، يتحدىٰ من؟ يتحدىٰ من يقول هذا القرآن ليس كلام الله: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٤-٢٥]، كفر الله من قال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾[المدثر: ٢٦ - ٢٩].

فالله ينزِّل هذه الآيات العظيمة ليبيِّن كذب هؤلاء، وليثبت أن هذا كلامه، وأن محمدًا إنما هو مبلِّغ عن الله -تبارك وتعالىٰ- لهذا الكلام الذي تكلم به -سبحانه وتعالىٰ-، فالقرآن كلام الله -سبحانه وتعالىٰ-، والذي يقول: إنه

مخلوق كافر، يقول: كفرًا يخرجه من الملة وهذا مذهب السلف، ومع الأسف المعتزلة قالوا بهذا القول، والأشاعرة يمسكون بوسط العصا، يقولون: الكلام صفة ذاتية قائمة بذات الله -عز وجل- من غير حرف ولا صوت، وهذا القرآن الذي عندنا الآن ليس كلام الله، كلامه هو القائم بذاته أما هذا الذي عندنا الآن مخلوق، وصرح بعضهم بأنه مخلوق، فنعوذ بالله من الضلال ونعوذ بالله من الفتن.[1]

---

(١) هذه بعض النصوص من كتاب "شرح جوهرة التوحيد" للباجوري -وهو من الكتب المعتمدة عند الأشاعرة- فيها القول بخلق القرآن.

١- قال الباجوري في "شرح جوهرة التوحيد" (ص٧٢): "واعلم أن كلام الله يطلق على الكلام النفسي القديم، بمعنى أنه صفة قائمة بذاته -تعالى- وعلى الكلام اللفظي بمعنى أنه خلقه وليس لأحد في أصل تركيبه كسب. وعلى هذا يحمل قول السيدة عائشة: ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالى".اهـ

٢- وقال أيضاً (ص ٧٢): "وإطلاقه عليهما -أي: إطلاق الكلام على النفسي واللفظي- قيل بالاشتراك، وقيل: حقيقي في النفسي مجاز في اللفظي، وعلى كلٍّ من أنكر أن ما بين دفتي المصحف كلام الله فقد كفر، إلا أن يريد أنه ليس هو الصفة القائمة بذاته تعالى".اهـ

٣- وقال أيضاً (ص ٧٢): "وقال السنوسي وغيره من المتقدمين: إن الألفاظ التي نقرؤها تدل على الكلام القديم، وهذا خلاف التحقيق؛ لأن بعض مدلوله قديم ... وبعض مدلوله حادث".

٤- وقال أيضًا (ص ٧٣): "وقد أضيف له تعالى كلام لفظي كالقرآن، فإنه كلام الله قطعًا بمعنى أنه خلقه في اللوح المحفوظ".

٥- وقال أيضاً (ص٩٥) -شارحًا قول ناظم "الجوهرة"-:

"فكل نص للحدوث دلا ... احمل على اللفظ الذي قد دلا"

وقوله (على اللفظ) أي: على القرآن بمعنى اللفظ المنزل على نبينا ﷺ المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر سورة منه.

والراجح: أن المنزل اللفظ والمعنى.

وقيل: المنزل المعنى، وعبر عنه جبريل بألفاظ من عنده. =

القرآن كلام الله، ونصوص كثيرة تدل علىٰ أنه كلام الله، وأن الله يتكلم متىٰ شاء، وإذا شاء: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢] ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، مصدر مؤكد لـ (كَلَّم)، والكلام إذا جاء مؤكدًا يرتفع احتمال المجاز ويرفع كل أنواع التهويشات، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾، ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ [الشعراء:١٠]، ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢].

النداء لا يكون إلا بالكلام ويكون بصوت.

فكل هذه النصوص يكذبها من يقول بخلق القرآن أو يتأوّلها تأويلًا فاسدًا -والعياذ بالله-، وهذا المدخل -مدخل التأويل- يقول: نحن ننزه الله عن كذا وكذا، لأن الكلام عَرَض من الأعراض والله لا تقوم به الأعراض وكلام فارغ، ويزعمون أنهم ينزهون الله -سبحانه وتعالىٰ- عن الاستواء، عن النزول، عن المجيء، عن الكلام -قاتلهم الله-، هذا تنزيه لله -تبارك وتعالىٰ-؟!، هذا تعطيل لله -سبحانه وتعالىٰ-، تعطيل لكماله عز وجل.

= وقيل: المنزل المعنىٰ وعبر عنه النبي ﷺ بألفاظ من عنده.

لكن التحقيق الأول؛ لأن الله خلقه أولًا في اللوح المحفوظ، ثم أنزله في صحائف إلىٰ السماء الدنيا في محل يقال له بيت العزة في ليلة القدر ... ثم أنزله علىٰ النبي ﷺ مفرقًا بحسب الوقائع".اهـ

٦- وقال الباجوري (ص: ٩٥): "لكن يمتنع أن يقال: القرآن مخلوق إلا في مقام التعليم كما سبق".اهـ

٣٠ وَمَنْ شَكَّ فِي كُفْرِهِ مِمَّنْ يَفْهَمُ فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ شَكَّ فِي كَلَامِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَوَقَفَ شَاكًّا فِيهِ يَقُولُ: لا أَدْرِي مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوق فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ وَقَفَ فِي الْقُرْآنَ جَاهِلًا عُلِّمَ وَبُدِّعَ وَلَمْ يُكَفَّرْ، وَمَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، أَوِ الْقُرْآنُ بِلَفْظِي مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِيٌّ.

الشرح

الرسول -عليه الصلاة والسلام- وصحابته الكرام والتابعون لهم بإحسان آمنوا بأن القرآن كلام الله أوحاه الله إلىٰ عبده ورسوله محمد ﷺ، ومن أعظم الدلالات علىٰ أنه كلام الله: أن الله تحدىٰ الجن والإنس أن يأتوا بمثله، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزت الجن والإنس أن يأتوا حتىٰ بأقصر سورة من مثله فهذا من أعظم الأدلة أن هذا القرآن كلام الله تكلم به، وكلامه من صفاته؛ فالكلام من صفات الله والكلام من علم الله ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة:١٢٠]، فسمَّىٰ القرآن علمًا والذي يدَّعي أن علم الله مخلوق كافر كفَّره السلف.

وقال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، والله يتكلم متىٰ شاء وكيف شاء كل مخلوقاته إنما تكون بكلامه وكل تشريعاته إنما تكون بكلامه فصفة الكلام عظيمة جدًّا إنكارها ضلال وكفر

والعياذ بالله.

أهل الكلام والمعتزلة عندهم قواعد، هم يقولون بالمجاز لكن عندهم قواعد لنفي المجاز، لكن عندما تأتي العقائد الصحيحة ينسون هذه العقائد فمثلا: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾، المصدر مؤكِّد لـ (كلّم) والتأكيد يرفع احتمال المجاز إذن قاعدة أن التوكيد يرفع احتمال المجاز تأتيهم بالنص يقولون لك هذا مجاز يحتمل كذا وكذا، إذا جئت بمؤكد ضربتهم علىٰ نواصيهم بقاعدتهم.

يعطلون صفة الرحمة وهم يقولون لك: إن التكرار والتأكيد يرفعان احتمال المجاز، إذا قلت: جاء زيد احتمل أن يكون جاء رسوله جاء كتابه جاء عبده جاء كذا، لكن لما تقول: جاء زيد جاء زيد، يقولون: ارتفع احتمال المجاز وثبت مجيء زيد حقيقة، هذا المجيء الذي حصل من زيد حقيقة، نأتي لنطبق القاعدة علىٰ صفة الرحمة مثلا وصفة الكلام فنجد القواعد تنصب علىٰ رؤوسهم، قالوا: التكرار يرفع احتمال المجاز ويثبت الحقائق، نقول لهم: صفة الرحمة كررها الله مئات المرات في القرآن الكريم أكثر من خمسمائة مرة وصف الله فيها نفسه بالرحمة أليس هذا تكرارا ؟! كلام الكافر إذا جاء بمؤكد يرفع احتمال المجاز والله رب العالمين يأتي بمؤكدات ومؤكدات ومؤكدات وتصرون علىٰ أن هذه الرحمة مجاز؟!!، (بسم الله الرحمن الرحيم) افتتح الله -سبحانه وتعالىٰ- كل سورة من القرآن الكريم -عدا سورة براءة-

بالبسملة وفيها صفة الرحمة كررها مائة وثلاثة عشر مرة.

بعدها: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[الفاتحة: ٢-٣]، كم مرة أكد هذه الصفة؟ أرأيتم الضلال والهوىٰ كيف يفعل بأصحابه.

نأتي إلىٰ صفة الكلام قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، يعني القرآن كلام الله هو القرآن.

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، وهنا أكد الفعل كلم بالمصدر وهذا التأكيد يرفع احتمال المجاز عندهم وعند غيرهم.

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[يس: ٨٢]، هذا من أدلة أن الله يتكلم -سبحانه وتعالىٰ- وهذه صفة كلام كوَّن بها كل المخلوقات، السماوات والأرض والجنة كانت بكلامه والنار كانت بكلامه والجبال والبحار والأنهار كل شيء حصل بكلام الله -تعالىٰ-، الكوني والتشريعي كلها جاءت بكلام الله -سبحانه وتعالىٰ-، فمن زعم مع هذا أن القرآن مخلوق كفَّره السلف.

وامتُحِن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وإخوانه من أهل السنة محنة عظيمة[1] جدًّا من الجهمية الذين تسلطوا علىٰ ثلاثة من ولاة العباسيين

(١) لقد كتب في هذه المحنة عدة كتب منها:
١ - "ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل" لحنبل بن إسحاق بن حنبل أبو عبدالله.
٢ - "محنة الإمام أحمد بن حنبل" لعبدالغني بن عبدالواحد بن علي بن سرور المقدسي تقي الدين.

المأمون والمعتصم والواثق فأنزلوا بأهل السنة من المحن ما لا يعلمه إلا الله من القتل والسجن والفصل من الوظائف وحتىٰ أن الأسرىٰ إذا ذهبوا يجاهدون لا يفكونهم إلا إذا اعترفوا بأن القرآن مخلوق وإلا لا يفكون أسرهم، بلغوا مبلغًا عظيمًا من الظلم، ومع ذلك صبر الإمام أحمد وصمد يقول: القرآن كلام الله، قال له بعض الناس نقوم بثورة، قال: لا هذه فتنة، قالوا له: نحن في فتنة هم يعلِّمون أولادنا أن القرآن مخلوق، قال: الفتنة التي تترتب علىٰ القتال أكبر من هذه تُسفك فيها الدماء وتُقطع فيها السبل ... لم يقل هذا جبنًا ولا خوفًا فقد ضُرِب ضربًا لا تطيقه الجبال وما اهتز ولا خاف ولا جزع ولكنه يخشىٰ الله ويدرك المصالح والمفاسد، الآن مطالب الشعوب الهتاف بالحقوق، أكثر حقوقهم كذب، حتىٰ ولو كان لكم حقوق أرشد الرسول ﷺ إلىٰ الصبر: قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «**بَايَعَنَا عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»[١] كفر كالشمس واضح أما ما دام يصلي فلا، قال ﷺ: «**إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟، قَالَ: «**لَا، مَا صَلَّوْا**».[٢]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الفتن) (رقم: ٧٠٥٦، و٧٠٥٧)، ومسلم في كتاب (الأمارة) (رقم: ١٧٠٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب (الأمارة) (رقم: ١٨٥٤).

هذه كلها تضيِّعها الديمقراطية التي يؤمن بها الإخوان المسلمون، القرضاوي[١] زعيم الإخوان المسلمين يقول: (الديمقراطية روح الإسلام)! **ويقول: نريد دولة مدنية -أي: تقوم علىٰ الديمقراطية- لأنه لا يريد دولة الإسلام.**

والديمقراطية كفر وضعها الزنادقة لضرب الإسلام ولتنحية الإسلام عن الساحة، الحكم لها ليس لله، الإخوان المسلمون الآن هم مع الشيوعيين والعلمانيين والبعثيين في اليمن وفي مصر وفي كل مكان، أين ذهب إن الحكم إلا لله؟ نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

الشاهد: أن أئمة الإسلام متَّفقون آخذون بنصوص الكتاب والسنة في عقائدهم وعبادتهم وسياستهم وفي تعاملهم مع الحُكام ومع الأفراد والجماعات علىٰ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فالحاكم ما دام في دائرة الإسلام لا يجوز الخروج عليه، ولا يخالف في هذا إلا الخوارج الذين لا يؤمنون بالسنة ويحرِّفون القرآن، والخوارج مستمرون من عهد عثمان قتلوا عثمان رضي الله عنه وقتلوا عليًّا رضي الله عنه لعنة الله عليهم، واستمرت فتنتهم إلىٰ يومنا هذا، ومن وُرَّاثهم الآن الإخوان المسلمون وفروعهم ملأوا الدُّنيا مشاكل وفتنًا وما من فتنة إلا ويخوضون فيها فاستعيذوا بالله من شرهم ومن مكرهم، والله يتآخون مع النصارىٰ يتآخون مع الروافض يتحالفون مع الشيوعيين ويستنصرون بهم علىٰ الحكام، الحكام فيهم ظلم لا شك لكن ما حكم

(١) انظر في شبكة الانترنت مقالًا له بعنوان: [**الديمقراطية واتفاقها مع روح الإسلام**].

الإسلام فيهم؟ أين: إن الحكم إلا لله؟ القرآن فيه حاكمية الله والسنة كذلك في الشعوب والحكام فتحكم علىٰ الشعوب وتحكم علىٰ الحاكم، توجب علىٰ الحاكم أن يعدل وأن يطبق شريعة الإسلام، وهناك وعيد شديد إذا لم يعدل في رعيته والعقوبة عند الله -سبحانه وتعالىٰ-، ما دام في دائرة الإسلام عقوبته عند الله ليس بأيدينا ليس لنا أن نعاقبه ليس لنا أن نخلعه ليس لنا أن نخرج عليه، قال رسول الله ﷺ: «**كَانَتْ بَنُو إِسرَائِيلَ تَسُوسُهُم الأَنبِيَاء، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ بَعْدِي خُلفَاءُ فَيَكثُرُونَ**»، قالوا: يَا رسول الله، فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ قَالَ: «**أَوْفُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّل فَالأَوَّل، ثُمَّ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، وَاسْأَلُوا الله الَّذِي لَكُمْ؛ فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ**»(١).

هذه أحاديث صحيحة متفق عليها والأحاديث كثيرة في هذا الباب تبين حكم الله في الحاكم وكيف تتعامل معه وتبين حكم الشعوب كيف يحكمها الحكام، علىٰ الحكام أن يعدلوا عليهم مسؤولية أمام الله -عز وجل-: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(٢)، وفيه وعيد أيضًا، «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ**»(٣)، هذه نصوص الوعيد لم يدخل مع المسلمين الجنة في أول مرة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الأنبياء) (رقم:٣٤٥٥)، ومسلم في كتاب (الإمارة) (رقم: ١٨٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب (الجمعة) (رقم: ٨٩٣)، ومسلم في كتاب (الأمارة) (رقم: ١٨٢٩).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب (الأحكام) (رقم:٧١٥٠)، ومسلم -واللفظ له- في كتاب (الإيمان) (رقم: ١٤٢).

كسائر الذنوب إذا كان مسلمًا أما إذا كان كافرًا فهذا يُخلَّد في النار، لكن هذا الوعيد لو وقع في الظلم، مسلم ولم ينصح لرعيته وهو مسلم هذا لم يدخل معهم الجنة قالوا: أول مرة، يدخل النار ويُعذَّب ويُعاقَب علىٰ ذنوبه ويُحاسَب أشد الحساب، أيُّهم أشد حسابًا حساب الله أو حسابك له؟ تقوم تحاسبه يُهلكك وإذا أهلكته خالفت شرع الله لأنك مأمور بالصبر، وقد استطردنا في هذا الموضوع لأننا في أيام فتن هذه الأيام، الدنيا تغلي في البحرين في ليبيا في الجزائر في مصر في كل مكان، الآن يسقطون الحاكم سقط الحاكم بعدها من الذي جاءهم؟ ممكن يأتي من هو أسوأ منه لأنهم ما اهتدوا بهدي الإسلام بل انطلقوا من الديمقراطية وما انبثق عنها من شعارات.

الحمد لله فيه بيان صدر اليوم(١) من الملك عبدالله -جزاه الله خيرًا- ينضح بالكتاب والسنة والتمسك بالكتاب والسنة ومعاملة هذا الشعب بكل احترام وتقدير ومساعدات مادية ومعنوية ... وهذا جاء من الإسلام ليس من الديمقراطية، يقولون: والله إن هناك ضرائب علىٰ الشعوب في كل شيء حتىٰ ما يبقىٰ للرجل من راتبه إلا الشيء القليل والبقية كلها في الضرائب في أمريكا وبريطانيا وغيرها من البلدان ضرائب وإهلاك وبلاء وخسارة الدنيا والآخرة، ونحن ولله الحمد سعداء بهذا الإسلام في الدنيا والآخرة.

---

(١) يوم الجمعة (١٣/ ربيع الثاني / ١٤٣٢هـ)، وانظر "حكم المظاهرات في الإسلام" (١٩-٢٣) لشيخنا ربيع -حفظه الله- وإشادته بدور حكام بلاد التوحيد في نصرة السنة والسعي في راحة سكانها.

٣١ قال أبو محمد: وَسَمِعْتُ أبي يقول: وَعَلاَمَةُ أَهْلِ البِدَعِ الوَقِيعَةُ في أَهْلِ الأَثَرِ وَعَلاَمَةُ الزَنَادِقَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ الأَثَرِ حَشَوِيَّة يُرِيدُونَ إِبْطَالَ الآثَار وَقَالا: وَعَلامَةُ الْجَهْمِيَّةِ تَسْمِيَتُهُم أَهْلَ السُّنَّةِ مُشَبِّهَة وَعَلامَةُ الْقَدَرِيَّةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ الأَثَرِ مُجْبِرَةً. وَعَلامَةُ الْمُرْجِئَةِ تَسْمِيَتُهُم أَهْلَ السُّنَّةِ مُخَالِفَةً وَنَقْصَانِيَّةً وَعَلامَةُ الرَّافِضَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ نَاصِبَةً وَلا يَلْحَقُ أَهْلَ السُّنَّةِ إِلا اسْمٌ وَاحِدٌ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ تَجْمَعَهُمْ هَذِهِ الأَسْمَاءُ.

الشرح

أئمة الإسلام يعرفون كل أصناف المخالفين لأهل السنة وشعاراتهم وعلاماتهم فهم تقاسموا الطعن في أهل السنة كما تقاسم الكفار الطعن في الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، وأهل السنة إن شاء الله هم ورثة الأنبياء وعلىٰ رأسهم علماؤهم، يرثونهم في عقائدهم وفي مناهجهم وفي الصبر علىٰ ما يلحقهم من أذىٰ كما صبر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(وَعَلاَمَةُ أَهْلِ البِدَعِ الوَقِيعَةُ في أَهْلِ الأَثَرِ).

أهل الأثر هم أهل السنة ويُسمَّون أهل الأثر وأهل الحديث ويُسمَّون أهل السنة، والمراد بالسنة المنهج، يعني أقاموا دينهم علىٰ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فلهم أعداءٌ كُثُر وأصناف عديدة كثيرة «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ أُمَّتِي مَا أَتَىٰ عَلَىٰ بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَىٰ أُمَّهُ**

عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: «وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»[1]، وفي أهل البدع والأهواء زنادقة، الباطنية الإسماعيلية وغيرهم، وهم يندسُّون في صفوف الروافض وفي صفوف الصوفية الغلاة.

(وَعَلَامَةُ الزَنَادِقَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ الأَثَرِ حَشَوِيَّة).

يريدون بذلك ذم أهل السنة بأنهم حَشْوٌ ليسوا من الكبراء والعظماء مثل الحشيش في وسط الزرع فيقولون عنهم حَشوية وهذا حشو؛ تنقصًا لأهل الحديث، فإذا سمعت إنسانًا يقول عن أهل السنة حشو أو حشوية فاعلم أنه زنديق؛ لأن هذا غاية الاحتقار والاستعلاء علىٰ أهل السنة الذين هم حملة دين الله -عز وجل- والمنافحون عنه.

(يُرِيدُونَ إِبْطَالَ الآثَارِ).

هذا قصدهم لما يقولون: حشوية وغثاء. كل هذا تنقص، واستخفاف، وليس الهدف أشخاصهم، الهدف إسقاط السنة، إسقاط أحاديث رسول الله -عليه الصلاة والسلام-؛ لأن هؤلاء الذين حملوا السنة وهم الذين يبلغونها وهم الذين يعملون بها فقصدهم إسقاط سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام- وهذا كفر وزندقة.

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٠٥) حاشية رقم (٤).

(وَعَلامَةُ الْجَهْمِيَّةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُشَبِّهَةً).

وذلك لأنهم يعطلون صفات الله -سبحانه وتعالىٰ- لا يعترفون بأسمائه وصفاته؛ «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»[1] إحصاؤها علمًا وحفظًا وفهمًا وعملًا بمقتضاها، ومنها الله الرحمن الرحيم البارئ المصور... هذه كلها ينكرونها ويعطلونها، ينكرون ألفاظها ومعانيها -قبحهم الله-، وينكرون علو الله واستواءه ومجيئه وصفاته الذاتية وصفاته الفعلية ويسمون أهل السنة الذين يؤمنون بها ويثبتونها لله علىٰ الوجه اللائق به -عز وجل- من غير تشبيه ولا تمثيل؛ يصفونهم بأنهم مشبهة، أهل السنة يثبتون لله الاستواء، هم يقولون هذا تشبيه، لأنهم يقولون عن الله أنه لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار ... فإذا أثبتوا استواء الله قالوا عنهم: مشبهة. لأن الاستواء معناه الشيء فوق الشيء وهذا لا يليق إلا بالأجسام والله ليس بجسم -لعنة الله عليهم-، الله ليس بجسم.

نحن لا نُجسم، الله -جل وعلا- ذاته لا تشبه الذوات وصفاته لا تشبه الصفات فأين التجسيم؟ إنما يفترون الكذب علىٰ أهل السنة بل يفترون علىٰ الله الكذب، يثبت أهل السنة لله النزول والمجيء والضحك.

يقول الجهمية: هذه أعراض لا تقوم إلا بالأجسام والأجسام مخلوقة -تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا- فيعطلون الله من صفات كماله ونعوت

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الشروط) (رقم: ٢٧٣٦)، ومسلم في كتاب (الذكر) (رقم: ٢٦٧٧).

جلاله، ويطعنون في أهل السنة الذين يؤمنون بها، وقد جاءت وامتلأ بها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولو كان في ذلك شيء من المحظور لنبَّه عليه رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، ولو كان في ذلك شيء من التشبيه لنبَّه علىٰ ذلك رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، فرسول الله ﷺ والرسل قبله والصحابة الكرام كلهم يسلمون بأسماء وصفات الله ويؤمنون بها علىٰ الوجه اللائق بالله -تبارك وتعالىٰ- ولكن هؤلاء عندهم زندقة وضلال فتجرؤوا علىٰ صفات كمال الله ونعوت جلاله فعطلوها وأضافوا إلىٰ ذلك الطعن فيمن يثبتها وأنهم مشبهة ويكفرون أهل السنة؛ لأنهم في زعمهم الباطل يشبهون الله، قاتلهم الله.

(وَعَلامَةُ الْقَدَرِيَّةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ الأَثَرِ مُجْبِرَةً).

القدرية في نشأتهم الأولىٰ كانوا ينكرون علم الله السابق وكل تقديراته -سبحانه وتعالىٰ-، فالله عندهم لا يعلم بشيء من الأشياء من معاصي بني آدم وأعمالهم إلا بعد وقوعها، الأمر أُنف عندهم ليس هناك علم سابق، وهذا ضلال مبين؛ فالله -سبحانه وتعالىٰ- علم الأشياء كلها في الأزل، ثم سجل كل شيء في اللوح المحفوظ؛ ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس:١٢].

فالله علم هذه المعلومات وسجلها في اللوح المحفوظ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا

يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام:٥٩]، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾[النور: ٢٨]، فالله -سبحانه وتعالىٰ- عليم بكل الأشياء الموجودة في هذا الكون كبيرها وصغيرها دقيقها وجليلها حتىٰ مثاقيل الذر حتىٰ ما دون مثاقيل الذر يعلمه -سبحانه وتعالىٰ- عَلِمه في الأزل، وسجله في اللوح المحفوظ ويعلمه عند وقوعه، ولا يحصل شيء في الكون إلا بمشيئته وإرادته -سبحانه وتعالىٰ-، فهم يسمون أهل السنة مجبرة لأن أهل السنة يقولون أن الله خلق العبد وخلق عمله، الله خالق للصانع والمصنوع خالق كل شيء -سبحانه وتعالىٰ-، لكن مع ذلك مع كون الأفعال مخلوقة لله أعطىٰ الله للعبد تمييزًا وقدرة واختيارًا هذه تجعله مسؤولًا أمام الله عما يتعاطاه من الأعمال وما يقوم به من الأعمال إن كان خيرًا كافأه الله علىٰ هذه الأعمال التي أتىٰ بها راغبًا فيها مختارًا لها، وإن كان عاصيًا عاقبه الله علىٰ فعله لأنه أتىٰ هذه المعاصي راضيًا لها مختارًا لها ليس مجبورًا أبدًا -تعالىٰ الله عن ذلك علوًا كبيرًا-، فالعمل الذي تأتيه بمحض اختيارك ورغبتك لا يُقال فيه إنك مجبور عليه أبدًا، المجبور والمُكره غير المختار فهذا يأتي الأشياء باختياره ورغبته ويحقق شهواته ورغباته ويخطط للإجرام ويفعل الأفاعيل كل هذه الأشياء مسؤول عنها أمام الله -تبارك وتعالىٰ-، وإن كانت هذه الأشياء لا تخرج عن إرادة الله؛ لأن الله -تعالىٰ وجل وعزَّ- يتعالىٰ ويتنزه أن يكون في ملكه ما لا يريد، أهل السنة يثبتون أن المخلوق وفعله مخلوقان

لله -عزوجل- لكن يثبتون قدرة العبد واختياره وإرادته، الفرق بينهم وبين الجبرية الجبرية يقولون أن العبد مجبور ليس له اختيار، هذه الأفعال هي أفعال الله فالعبد مجبور ليس مسؤولًا عن هذه الأعمال - قاتلهم الله-، كلهم علىٰ ضلال، والحق هو ما قرره كتاب الله وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام- من أن كل شيء خلقه الله؛ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر:٦٢]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦].

أنت وعملك مخلوق ليس هناك شيء غير الله وصفاته خارج عن كونه مخلوقًا لله، الخير والشر كله يرجع إلىٰ تقدير الله -عزوجل-، ومن أركان الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تبارك وتعالىٰ»، هذا حديث متفق عليه.(١)

(وَعَلامَةُ الْمُرْجِئَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُخَالِفَةً وَنُقْصَانِيَّةً).

سمَّوهم مخالفة؛ لأنهم خالفوا المرجئة، وسمَّوهم نقصانية؛ لأنهم يقولون: إن الإيمان يزيد وينقص.

غلاة المرجئة: الإيمان عندهم مجرد المعرفة فيدخل في تعريفهم للإيمان فرعون والشيطان وكل كفار مَريد، لأنهم يعرفون الله. أبو جهل أبو لهب فرعون هامان قارون كلهم يعرفون الله -جل وعلا- وأنه الخالق لهذا الكون

(١) تقدم تخريجه (ص ١٨٠).

وما فيه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

فرعون يقول: أنا ربكم الأعلىٰ لكنه كذاب يقول خلاف ما يعتقد في قرارة نفسه، فعند غلاة المرجئة يدخل فرعون وهامان وإبليس -إمامُهم- في الإيمان فيكونون علىٰ تعريفهم مؤمنين.

ومرجئة أخرى وهم مرجئة الفقهاء: يقولون: الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان فقط، أعمال الجوارح لا تدخل في تعريفهم للإيمان، والإيمان عندهم وعند الفئة السابقة لا يزيد ولا ينقص؛ وهذا الاعتقاد فيه رد لآيات كثيرة وأحاديث كثيرة تبين أن الإيمان يزيد وينقص؛ ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣]، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢].

ووردت آيات أخر في أن الإيمان يزداد، ويؤمن أهل السنة أن الإيمان يزداد حتىٰ يصير مثل الجبال، وينقص حتىٰ يصير أدنىٰ أدنىٰ من مثقال ذرة، ودل علىٰ النقصان أحاديث الشفاعة المتواترة؛ «**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار من الإيمان، نصف دينار، درهم، حبة شعير، حبة ذرة، حتىٰ أدنىٰ أدنىٰ من مثقال ذرة من إيمان**»(١)، هذه أحاديث تدل علىٰ أن الإيمان ينقص، وأحاديث أخرىٰ تدل علىٰ أن الإيمان يزداد ويزداد، فهم كلهم أداروا

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٤).

ظهورهم لهذه النصوص والعياذ بالله.

هناك طائفة ثالثة من المرجئة وهم الكرَّامية: يقولون: الإيمان النطق باللسان فقط. حتىٰ المنافقين عندهم مؤمنون، المنافق نطق بلسانه ولو لم يعتقد قلبه وهذا عندهم مؤمن، وبعض الناس يدَّعي عليهم أنهم يقولون: إن المنافقين في الجنة، لكن ليس الأمر كذلك لا يقولون بهذا، المنافقون في النار وإن كانوا مؤمنين -كما يزعمون- لكن هذا ضلال، الإيمان كما ثبت في الكتاب والسنة: اعتقاد في القلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح. والمرجئة علىٰ اختلاف أصنافهم لا يُدخلون الأعمال في الإيمان، ولا يقولون: الإيمان يزيد وينقص، ويصفون أهل السنة بأنهم مخالفون ونقصانية -والعياذ بالله- وهذا ضلال ومن افتراءات أهل البدع، فإذا وقع إنسان في بدعة فلابد أن يُحارِب أهل السنة شأنهم شأن خصوم الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-؛ لأن أهل السنة هم حملة نصوص القرآن والنصوص النبوية فلا يعاديهم إلا أهل الضلال من أهل الأهواء ويتفاوتون في ضلالهم وفتنهم نعوذ بالله.

(وَعَلامَةُ الرَّافِضَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ نَاصِبَةً).

الرافضة عندهم غلو في أهل البيت وكانوا في الأول شيعةً ويفضِّلون عليًّا علىٰ سائر الصحابة رضي الله عنهم، ثم علىٰ مرِّ الزمان زاد ضلالهم وانحرافهم فصاروا -وهم الإمامية الإثني عشرية- يعتقدون في أهل البيت أنهم يعلمون الغيب

ويتصرفون في الكون وليس ذرة في الكون إلا وهي تحت تصرفهم وإرادتهم -لعنهم الله- جعلوهم آلهة مع الله، وطعنوا في الصحابة وكفَّروهم، وطعنوا في أم المؤمنين عائشة وفي زوجات الرسول ﷺ -عليهم ما يستحقون وقبحهم الله-، ويسمُّون أهل السنة ناصبة؛ لأنهم في أول الأمر لما غَلَوا في أهل البيت قابلهم ناس عندهم غُلُوٌّ في بني أمية فسمَّوهم ناصبة، يقولون: لأنهم نصبوا لأهل البيت العِداء.

ثم انقرضت هذه الفرقة فصار الروافض إلىٰ يومنا هذا يطلقون علىٰ أهل السنة ناصبة، والناصبة عندهم كفار وأهل السنة عندهم كفار -قاتلهم الله-، وأهل السنة يحبون أهل البيت ويحبون أصحاب محمد ﷺ، ويُنزلون كل أحد منزلته، يُنزلون أهل البيت منازلهم التي يستحقونها ولا يَغْلُون فيهم، ولا يَغْلُون في الأنبياء، ولا في شخص الرسول ﷺ القائل: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ**»[1]، فلا يغلون في أحد ويعتقدون فيه أنه أفضل خلق الله، ومع ذلك لا يرفعونه فوق منزلته التي أنزله الله إياها فلا يستغيثون به ولا يستنجدون به ولا يعتقدون فيه أنه يعلم الغيب، ولا أنه يتصرف في الكون ولا شيء من هذه العقائد التي يقولها أهل الضلال من الروافض ومن الصوفية في الأولياء من أنهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون، حاشا أهل السنة من ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (أحاديث الأنبياء) (رقم: ٣٤٤٥).

هذه عقائد أهل الضلال وبرأهم الله مما ينبزهم به الروافض من أنهم نواصب؛ لأنهم يحبون أهل البيت ويحترمونهم وينزلونهم منازلهم.

(وَلا يَلْحَقُ أَهْلَ السُّنَّةِ إلا اسْمٌ وَاحِدٌ).

يعني: اسم أهل السنة، وإذا قلت: أهل الحديث. فهو بمعنىٰ السنة.

(وَيَسْتَحِيلُ أَنْ تَجْمَعَهُمْ هَذِهِ الأَسْمَاءُ).

لا مفرداتها ولا مجموعها تنطبق عليهم أبدًا، ليسوا بناصبة، وليسوا مشبهة، ليسوا مجبرة، وليسوا نقصانية ولا شيء من هذا، لا تجتمع فيهم ولا توجد أفرادها فيهم، فبرأ أهل السنة -وهو كذلك- أهل السنة الحقيقيين، هناك من يندسون في أهل السنة، ويوالون أهل البدع، ويحاربون أهل السنة؛ فهؤلاء من أخطر الناس علىٰ السلفية والسلفيين، افهموا هذا!.

الآن في الساحة أناس يحاربون أهل السنة ويسمُّونهم غلاة، فنبزهم لأهل السنة بالغلو يلحقهم بهذه الطوائف الضالة، ينبزون أهل السنة بالغلو؛ لأنهم ينزلون أهل البدع منازلهم كما أنزلهم السلف الصالح، ويعاملونهم علىٰ الطريقة السلفية التي كانوا يتعاملون بها مع أهل البدع، وهؤلاء لا يريدون هذا، لا يريدون أن تقول الإخوان المسلمين كذا، ولا التبليغ كذا، ولا الطائفة الفلانية كذا، يقولون: عندنا منهج واسع أفيح يسع أهل السنة ويسع الأمة كلها يسع أهل السنة، وأهل السنة عندهم جماعة التبليغ والإخوان

المسلمين، فرقة الإخوان المسلمين التي ضمت فِرقًا من الفرق الضالة يحتويهم الإخوان المسلمين، الروافض بأصنافهم عندهم، الصوفية بأصنافهم عندهم، كل أهل البدع موجودون في تنظيم الإخوان المسلمين، حتىٰ النصارىٰ يَدخلون في تنظيمهم، فإذا قلت: إنهم أهل بدع. يصفونك بالغلو.

التبليغ يبايعون علىٰ أربع طرق صوفية فيها الحلول، ووحدة الوجود، والشرك، والبدع والضلالات، إذا قلت عنهم: مبتدعة. يصفونك بالغلو، هؤلاء من أخطر أعداء أهل السنة فانتبهوا لهم ولمكايدهم.

(٣٢) قال أبو محمد: وَسَمِعْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ يَأْمُرَانِ بِهُجْرَانِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْبِدَعِ، وَيُغَلِّظَانِ فِي ذَلِكَ أَشَدَّ التَّغْلِيظِ، وَيُنْكِرَانِ وَضْعَ الْكُتُبِ بِالرَّأْيِ بِغَيْرِ آثَارٍ، وَيَنْهَيَانِ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْكَلامِ وَالنَّظَرِ فِي كُتُبِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَيَقُولانِ: لا يُفْلِحُ صَاحِبُ كَلامٍ أَبَدًا.

قَالَ الإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ: وَبِهِ أَقُولُ أَنَا. وَقَالَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ حُبَيْشٍ الْمقري: وَبِهِ أَقُول. قَالَ شَيْخُنَا اِبْنُ الْمُظَفَّرِ: وَبِهِ أَقُول . وَقَالَ شَيْخُنَا -يَعْنِي الْمُصَنِّفَ- وَبِهِ أَقُولُ، وَفَّقَنَا اللهُ وَكُلَّ مُؤْمِنٍ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

الشرح

ونحن والله نقول بهذا، كل ما يقوله أهل السنة نقول به كل عقائدهم ومواقفهم من أهل السنة ومن الصحابة والتابعين، ومواقفهم من أهل البدع والضلال نقول بها وندين الله بذلك، ومن ذلك الأمر بهجران أهل البدع والزيغ.(١)

أهل البدع قسمان:

قسم دعاة إلى الضلال: هؤلاء يُهجَرون ويُعاقَبون أشد العقوبة ويُمنَعون من الدعوة وإذا تمادوا فعلىٰ ولاة الأمور أن يقتلوهم حماية للمجتمعات من شرورهم.

---

(١) انظر كتاب "إجماع العلماء علىٰ الهجر والتحذير من أهل الأهواء" للشيخ الدكتور خالد بن ضحوي الظفيري -حفظه الله-، فقد أجاد وأفاد فجزاه الله خيرًا.

وقسم آخر: عوام مخدوعون، هؤلاء مبتدعة عندنا لكن ندعوهم إلىٰ الله بالحكمة والموعظة الحسنة، لا نهجرهم ولا نجالسهم، ندعوهم في المساجد ندعوهم في الأسواق، ندعوهم بالأشرطة والكتب، نقدم لهم الحق، ونبين لهم الباطل ونحذرهم منه، فيهدي الله من أراد الله به خيرًا.

ومن أراد الله به شرًّا لا يستفيد بشيء من ذلك، ونُحذر من هذا المعاند المصر علىٰ البدع.

(وَيُغَلِّظَانِ فِي ذَلِكَ أَشَدَّ التَّغْلِيظِ).

يُغلظان في هجران أهل البدع.

(وَيُنْكِرَانِ وَضْعَ الْكُتُبِ بِالرَّأْيِ بِغَيْرِ آثَارٍ).

هذا يقصدون به أهل الرأي، كان هناك خلافات بين أهل الرأي وهم الأحناف؛ يَهتمون بالرأي والقياس، ولا يهتمون بالآثار؛ فتقع منهم مخالفات كثيرة؛ لأنه ليس لديهم عناية بالسنة، حتىٰ بعضهم استجاز الوضع علىٰ رسول الله ﷺ.

هذا صرح به بعض العلماء، فَفَهْمُ النصوص يكون في ضوء الأحاديث والآثار وليس من الرأي.

(وَيَنْهَيَانِ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْكَلامِ وَالنَّظَرِ فِي كُتُبِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَيَقُولانِ: لا يُفْلِحُ صَاحِبُ كَلامٍ أَبَدًا).

الرسول ﷺ حذَّر من مجالسة أهل الأهواء، تلا قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [آل عمران:٧].

ثم قال: «فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ».(١)

وهذه طريقة أهل البدع السابقين واللاحقين؛ يتبعون المتشابهات من كلام الرسول ﷺ ومن كلام العلماء؛ ليدعموا مناهجهم الفاسدة وأراءهم الضالة، فهؤلاء يُحذَّر من مجالستهم خاصة الدعاة منهم.

وأما العوام والجهلة منهم فهؤلاء لا نؤاكلهم، ولا نجالسهم، ولكن ندعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

وكُتب المتكلمين بدأت تنتشر في ذلك العهد؛ فحاربهم أهل السنة أشد الحرب، كل أئمة الإسلام أطبقوا واتفقوا علىٰ تحريم علم الكلام وأنه ضلال

(١) أخرجه البخاري في كتاب (التفسير) (رقم: ٤٥٤٧)، ومسلم في كتاب (العلم) (رقم: ٢٦٦٥).

وقال الشافعي رحمه الله في ذلك: "حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنِّعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال هذا جزاء من يتعاطىٰ علم الكلام". (١)

وكلهم حرَّموا النظر في كتب الكلامِ؛ لأن الكلام -وهو فلسفة أخذوها من اليونان- جَرَّهُم إلىٰ تعطيل صفات الله وجرهم إلىٰ ضلالات لا أول لها ولا آخر، فحرّموا النظر في الكلام وفي كتب الكلام لما فيها من الضلال.

(١) انظر "الحلية" (٩/ ١١٦) لأبي نعيم، و"مناقب الشافعي" (١/ ٤٦٢) للبيهقي، وقال الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (١٠/ ٢٩): "وَعَنِ الشَّافِعِيِّ: حُكْمِي فِي أَهْلِ الكَلاَمِ، حُكْمُ عُمَرَ فِي صَبِيْغٍ. الزَّعْفَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ: سَمِعْنَا الشَّافِعِيَّ يَقُوْلُ: حُكْمِي فِي أَهْلِ الكَلاَمِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالجَرِيْدِ، وَيُحْمَلُوا عَلَىٰ الإِبِلِ، وَيُطَافُ بِهِم فِي العَشَائِرِ، يُنَادَىٰ عَلَيْهِم: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَأَقْبَلَ عَلَىٰ الكَلاَمِ.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَشْعَرِيُّ صَاحِبُ الشَّافِعِيِّ: قَالَ الشَّافِعِيُّ: مَذْهَبِي فِي أَهْلِ الكَلاَمِ تَقْنِيعُ رُؤُوْسِهِم بِالسِّيَاطِ، وَتَشْرِيدُهُمْ فِي البِلاَدِ.

قُلْتُ: لَعَلَّ هَذَا مُتَوَاتِرٌ عَنِ الإِمَامِ". اهـ

(قَالَ الإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ: وَبِهِ أَقُولُ أَنَا. وَقَالَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ حُبَيْشٍ الْمقري: وَبِهِ أَقُول. قَالَ شَيْخُنَا ابْنُ الْمُظَفَّرِ: وَبِهِ أَقُولُ . وَقَالَ شَيْخُنَا -يَعْنِي الْمُصَنِّفَ- وَبِهِ أَقُولُ).

لما ساق هذه العقائد كلها نقل اتفاقهم علىٰ هذه العقائد التي ساقها، والمصنف هو اللالكائي رحمه الله.

ونحن نقول بكل ما قالوا، وإذا فاتنا شيء لم تحوِه هذه الرسالة من عقائد أهل السنة فنقول بها وندين الله بها، ونسأل الله -تبارك وتعالىٰ- أن يُثبتنا وإياكم علىٰ السنة وأن يتوفَّانا علىٰ الإسلام إن ربنا لسميع الدعاء.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.[(١)]

---

(١) وأقول بما قاله أئمة السنة وسار عليه سلف الأمة سائلا المولىٰ عز شأنه وجلّت قدرته أن يجزل لشيخنا ربيع المثوبة وأن يرفع قدره في الدنيا والآخرة، وأن يثبتنا جميعًا علىٰ الكتاب والسنة وما عليه السلف الصالح إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

الأسئلة

السؤال:

هل ثبت عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما سئل عن القرآن: هل هو مخلوق أم لا، أنه أشار إلىٰ يديه إشارة إلىٰ أن يديه مخلوقة؟

الجواب:

هذا كذب علىٰ الشافعي، الشافعي كان يُناظر علىٰ القرآن، ويكفر من يقول بخلق القرآن، وناظر حفصًا الفرد[1]، ولمَّا أصرَّ علىٰ أن القرآن مخلوق

---

(١) انظر "آداب الشافعي ومناقبه" (١/ ١٤٨-١٤٩)، لأبي محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم قال: ثنا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ، فَقَالَ: وَكُنْتُ حَاضِرًا فِي الْمَجْلِسِ، فَقَالَ حَفْصٌ الْفَرْدُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، فَقَالَ الشَّافِعِيّ: **كَفَرْتَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ**.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: فِي كِتَابِي عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ، قَالَ: حَضَرْتُ الشَّافِعِيَّ، أَوْ حَدَّثَنِي أَبُو شُعَيْبٍ، إِلا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ حَضَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْحَكَمِ، وَيُوسُفُ بْنُ عَمْرِو بْنِ يَزِيدَ، وَحَفْصٌ الْفَرْدُ، وَكَانَ الشَّافِعِيُّ يُسَمِّيهِ حفصًا الْمُنْفَرِدَ، فَسَأَلَ حَفْصٌ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْحَكَمِ، فَقَالَ: مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟ فَأَبَىٰ أَنْ يُجِيبَهُ، فَسَأَلَ يُوسُفَ بْنَ عُمَرَ وَابْنَ يَزِيدَ، فَلَمْ يُجِبْهُ، وَكِلاهُمَا أَشَارَ إِلَىٰ الشَّافِعِيِّ.

فَسَأَلَ الشَّافِعِيَّ، فَاحْتَجَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ، وَطَالَتْ فِيهِ الْمُنَاظَرَةُ، فَأَقَامَ الشَّافِعِيُّ الْحُجَّةَ عَلَيْهِ، بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَكَفَّرَ حَفْصًا الْفَرْدَ.

قَالَ الرَّبِيعُ: فَلَقِيتُ حَفْصًا الْفَرْدَ فِي الْمَجْلِسِ بَعْدُ، فَقَالَ: أَرَادَ الشَّافِعِيُّ قَتْلِي". اهـ

قال: أنت كافر كفرت بالله عز وجل.

وقال حفصٌ الفرد: لقد أشاط الشافعي بدمي.[١]

هذا من الكذب، والفتنة هذه ما أدركَتْهُ، مات الشافعي رحمه الله (٢٠٤هـ)؛ الفتنة ما وُجدت إلا سنة (٢١٨هـ) فلا يجوز أن يُصَدَّق هذا الكلام المنسوب إلىٰ هذا الإمام.

السؤال:

قلتم -حفظكم الله-: إن الإيمان يزيد بأعمال القلوب، ويزيد بأعمال الجوارح، هل بينهما انفكاك أم هما متلازمان؟.

الجواب:

أنا لست فيلسوفًا، الفيلسوف هو الذي يُسأل هذا السؤال؟ متلازمان لأن الجوارح ما تتحرك إلا بتحرك القلب، القلب إذا صلح صَلح الجسد كله، وإذا فسد فَسد الجسد كله، فإذا صلح القلب واستقام استقامت الجوارح، فالجوارح تُحركها القلوب.

السائل:

يقول الإمام الذهبي عن حديث: إسناده نظيف. فما معناه ودرجته؟.

الجواب:

يعني ما فيه علل، رواته كلهم ثقات ضابطون.

---

(١) انظر "الشريعة" (١/ ٣٠١، رقم: ١٧٦) للآجري رحمه الله.

السؤال:

يقول السائل: هل المنفي في الصفات الكيفية أو علمنا بالكيفية؟.

الجواب:

علمنا بالكيفية؛ الكيفية موجودة لكن نحن لا نعلمها.

السؤال:

يقول السائل: جزاكم الله خيرًا، إن الذين توقفوا في الفتنة قلتم إن الذين توقفوا في الفتنة هم المصيبون. والنبي ﷺ يقول للخوارج: «**تقاتلهم أولىٰ الطائفتين بالحق**»؟.

الجواب:

هذا في الخوارج، الخوارج أجمع الصحابة علىٰ قتلهم، هؤلاء الذين توقفوا أجمعوا جميعهم علىٰ قتالهم لكن في الفتنة التي حدثت بين الصحابة، بين معاوية ومن معه، وعلي ومن معه هم ومن وراءهم التابعون.

والدليل علىٰ أن القتال ليس محمودًا أو ليس مطلوبًا: أن النبي ﷺ قال في الحسن: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ؛ وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**»(١)، فهذا من أدلة من يرىٰ عدم القتال، وكان عدد من الصحابة يروق له ذلك ويستشهدون بمثل هذا الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب (الصلح) (رقم: ٢٧٠٤).

السؤال:

يا شيخ، من أولىٰ الطائفتين بالحق؟.

الجواب:

عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أولىٰ بالحق، لكن مع كون الحق معه، ما كان ينبغي القتال، قدَّر الله وما شاء فعل نحن قلنا: إنهم بين مجتهد مصيب ومجتهد مخطئ.

سؤال:

هل يخرج من فضيلة السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب الذين يذهبون إلىٰ الأطباء، أم هذا خاص بالاكتواء؟

الجواب:

إذا اكتووا لا ينالون هذه الفضيلة، ولا يستحقون هذا الوعد.

هذه مزية، الله لا يظلمهم شيئًا يُدخلهم الجنة، لكن ليسوا من أهل هذه المرتبة، لا يلحقون هؤلاء بالفضل؛ لأن هؤلاء في قمة التوكل علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، فبعض الأسباب مباحة، والله -سبحانه وتعالىٰ- رتب علىٰ تركها الأجر العظيم، إذا تركها لله توكلًا عليه واعتمادًا عليه -سبحانه وتعالىٰ- يكافئه الله بهذا التوكل عليه.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

فهرس الموضوعات